إسلام أنور المهدي

عسل الخشخاش

الحركة الإسلامية.. مشكلات وحلول



دارْ دوِّنْ

عسل الخشخاش

الطبعة الأولى: يونيو 2013
رقم الإيداع: 9982/ 2013
الترقيم الدولي: 978-977-6426-177
تصحيح لغوي: محمود الغنام
تصميم الغلاف: سيد فودة

18 شارع محيي الدين أبو العز - الدقي
تليفون: 01020220053
E-mail: info@dardawen.com
www.dardawen.com

عَسَلُ الخُشْخَاش

الحركة الإسلامية: مُشكِلات وحُلول

إسلام أنور المهدي



دار دوّن للنشر والتوزيع

مُقدِّمَة

الحمدُ للهِ ذِي الجَلالِ الذِي اختصَّ نفسَهُ بالكمالِ، والصلاةُ والسلامُ على أكملِ البشرِ في الخِصَالِ والفِعَالِ.. ثم أما بعدُ..

فهذا الكتابُ جمعتُ فيه ما رأيتُه من مُشكلاتٍ أساسيةٍ اعترضت سيرَ"الحركة الإسلامية" بجماعاتِها ومشاريعِها المُختلفة فأعاقتها عن تأسيس "تمكين حقيقي" بعد "الربيع العربي".. ثم ختمتُه بما رأيتُه نموذجًا صالحًا للسيادة على أساس العمل الجماعي المؤسَّسِي غير المتحزّب لجماعة دون جماعة؛ بل على أساس شُمُوليَّةِ الإسلام من باب قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [البقرة:٢٠٨] فـ: كافَّةً: بكافَّتِنا لا يتخلَّف أحدٌ، وكافَّةً: في شرائع الإسلام كافَّةٍ لا تُهمَل منها شعيرةٌ.. وهذا الكتاب هو بصيرةُ الصغير: نصيحةٌ للمثلِ وللكبير.. وجُهدُ المُقِلِّ: إغاظةٌ للفاجرِ وللمُتُلِّ..

وهو مجموعُ مقالاتٍ نشرتُ جُلَّها في "رابطة النهضة والإصلاح" كسلسلة تحليلية إصلاحية: فجزى اللهُ القائمين على الرابطةِ خيرًا وألهمهم من لدُنه الهُدى والرشاد مَنًّا وفضلاً، والبقية كانت مقالاتٍ متفرقّةً لي هُنا وهناك رأيتُ جمعها لتكون مُتكامِلَةً "النقد والحل".. فمن شاء انتفع بها.. ومن شاء نصحني فسدَّ خللها.. واللهَ أسألُ أن يجعلها في سجلِّ صالحِ عملي ويعفو عن خطئي فيها وسائرِ زلَلِي..

وقد بدأتُه ببابٍ عن "مُشكلات القادة الكبار" فهي المُشكلاتُ الأهم كما أن أمراض الرأس هي أهم مشكلات البَدَنِ..

وثنَّيتُ ببابٍ عن "مُشكلات قيادات الصفّ الثاني" فهُم كِبارُ الغدِ، ومُشكلاتُهم إن بقيت ستضيف لمشكلات الرَّأسِ عمَّا قريب أو بعيد..

ثم ألحقتُ به بابين عن "مُشكلات جماهير الحركيّين" و"مُشكلات عوام المسلمين" وهُم قواعد العمل والتنفيذ والمستهدفين من الدّعوة ومحلُّ الخِدمة ولابد من فهمهم وهضم بلاءاتهم للبدء في حلّها..

وفي ذيلهما مُلحق تحليليٌّ عن نتيجة تلك المشكلات كلّها من "تسلُّط الطُّغاة" على البلاد والعباد بل وإدارتهم للحركة الإسلامية نفسها وسوقِها حيثُ أرادوا..

ثم مَهّدتُ للحلّ ساخِرًا كاشِفًا آسيًا وناصِحًا..

ثم ختمتُه بمجموعة حُلولٍ عمليةٍ متكاملة ضمَّنتُها: توصيفًا لصفات [القائد] اللازم لهذه المرحلة، وورقة عمل لتحقيق [المؤسَّسيّة] الواجبة لتحقيق التضامُن -لأن القيادة قناة تعاون ذات اتجاهين ينبغي أن ينتفع المقودُ منها كما هو حال القائد- ووصّفتُ مشروعًا هو [البناءُ العُضويُّ] لنواة الخِلافة، مُحدِّدًا [الاستراتيجية] التي ينبغي أن تغلِّف العمل والجُهد، ومؤكِّدًا على وجوب [الدَّأب] الذي يقودنا إلى [النتيجة] بمنّ اللهِ تعالى وفضلِه..

وقد أسميتُ الكتاب كلَّه باسم أحد فصُولِه الذي أتكلم فيه عن إدارة الطُّغاة للجماعات الإسلامية: "عسل الخشخاش"..

وإنني أرى هذا الاسمَ مُعبّرًا عن بضاعة الحركة الإسلامية الآن!! تلك الحركة التي طوَّعها الطواغيتُ فصارت تعرض على الناس الجاهلية بنكهة الإسلام أو تعرض الجاهلية في صورة الإسلام.. تعرض الحُكم بغير ما أنزل الله في قالب تحكيم الشريعة!! وتعرض مهادنة الطُّغاة في قالب التسامُح والعفو!! وتعرض الرُّكون للظالمين في قالب الإصلاح المتدرّج!! وتعرض التنازل في قالب مصلحة الدعوة!! وتعرض الفتنة العامة والانحراف الجماعي في قالب إجماع العلماء!! وتعرض التبديل والتغيير والانتكاس في قالب تقليل المفاسد!! تعرض الجاهلية تحت مسمّى الإسلام بدلا من مفاصلتها الجاهلية ومصادمتها وعرض الإسلام الصافي.. ولكثرة مخالفيّ فيما ذهبتُ إليهِ في هذا الكِتاب خاصّة في باب

"مُشكلات القادة": فإنِّي أقول لهم: ﴿ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ [هود: ٣٥].. وأقول: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الأحقاف: ٨].. وأختم فأقول: ﴿ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [سبأ: ٢٦]..

كتبه: إسلام أنور المهدي

وتمَّ جمعُه وتنقيحُه في الإسكندرية

يوم الخميس 8 جُمَادَى الآخرة 1434، 18 إبريل 2013

الباب الأول

مُشكلات القادة الكِبار

بَيْنَ مُوسَى وهَارُونَ

تعالَوْا نشاهد فصولَ قصَّةٍ جَرَت على أرض مصر منذ ثلاثة آلاف عامٍ ونيف؛ هي اليوم تجري أوضح ما كانت..

[1]

ذَبْحٌ وسُكُوتٌ

قال الربُّ تعالى: ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤ ﴾ [القصص:٤]..

فذاكَ فرعونُ ادَّعى أنه الإلهُ المُطاع؛ وتبعه على ذلك مَلَؤه وجنودُه الأنطَاغ، وهامانُ وقارونُ ذوو السلطانِ والمتاعْ، وسحرتُهُ وغيرُهم من الأتباعْ.

ثم إنَّهُ فرَق الأمَّةَ المصريَّةَ فِرَقًا، واستضعف منها الجماعةَ المؤمنة ومزَّقَها خِرَقًا، فذبَّح أبناءَهَم وسَكَتُوا، وأذلَّ نساءَهُم فكُبِتُوا.

وبالأمس القريب كان مبارك فرعون مصر: فهي عِزَّتُه، وطاوَعَه على فرعونيَّتِهِ حزبُه الوثنيُّ وبَرِيَّتُه، وشُرطَتُهُ وعسكرُه، وحبيبُه ومشيرُه، وبُطرُسُه وعِزُّه، وجرائدُهُ ونايلسَاتُه، وغيرهم كثير.

ثمَّ فرَّق الأمة المصريَّة فِرَقًا ونكَّل بالطائفة المؤمنة فيها: فقتل منهم وسجن، فما حرَّكوا -أغلبُهم- لإهراق دمائهم ما سَكَنْ، فزادهم مبارك فشرَّد وطَحَن، ثم أتى لنساء المؤمنين فمنع المنتقبات من التوظيف والامتحان، وضرب المختمرات على أبواب اللجان. وصار الرجال والنساء المؤمنين يرقبُون زوَّاره في الليل، ويخشون من أمن دولته الثُّبورَ والوَيل!! هذا وغير أبناء الطائفة المؤمنة من المعارضين يشتكي في مُعتَقَلِه من الناموس!! ويظن لهذا أنه يُجرَّع مُرَّ الكؤوس!!

[2]

استخفاءٌ بالعبادة

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٨٧]..

واستمر القمعُ على نفس الوتيرة في عهد مبارك كما كان في عهد سلفه فرعون: فكان فرعون يوحّد الآلهة في شخص نفسه ويهدم مساجد الجماعة المؤمنة ويقتل من يُصلّي فيها. حتى استفتَوْا موسى فأمره الربُّ بأن يستخفوا بصَلاتِهم وصِلاتِهم في بيوتهم حتى حين؛ وكان فرعون رغم ذلك يسمح لعبّاد ابن آوى والنيل والصقر والبقر بحرية العبادة ولا يُضيّق إلا على المؤمنين ولا يهدم إلا مساجد المؤمنين. وكذا مبارك لم يضيّق يومًا على بناء كنيسة للنصارى ولا نادٍ للماسونيين ولا جمعيةٍ ولا حزبٍ لليبراليين ولم يصادر يومًا كتابًا للّادينيين ولا الماركسيّين - إلا بما يحفظ ماء وجهه إذا ثار بعض الغيورين - بل كان هو وزوجته الرئيسين الشرفيين في هذه المحافل والنوادي بل والراعيين الرسميين. وفي أثناء ذلك يُغلق المساجد أو يُسلّمها لكهنة الأوقاف ويُصادر أموال الإسلاميين، ويُحاكم بعضهم عسكريًّا والبعض الآخر مدنيًّا كأنهم أخطر المجرمين؛ حتى اقتدى بعض الجماعة المؤمنة المعاصرين بأسلافهم في الوطن والدين واتبعوا تعاليم موسى فاستخفوا مع المستخفين؛ فمنهم من استخفى بصَلاته وتعاليمه وكُتُبِه ومنهم من أخفى حتّى لحيته ونقابه وكبتها خلف كثيف حُجُبِه.

[3]

وأتى الوعدُ من غير ما كَسب

قال الملك: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة:50] ..

فأنت ترى أن الله وحده أغرق فرعون في الحالتين وأهلك جند الفرعون في الحالتين بغير كسب من الجماعة المؤمنة (اللهُ وحدَه أسقط النظام): فقديمًا لم تُشارك الجماعة المؤمنة في إغراق فرعون بل أغرقه الله بموج البحر؛ وحديثًا فإن من شارك من الجماعة المؤمنة في خلع مبارك شارك بمفرده أو أن جزءً من الجماعة المؤمنة وهم الإخوانُ وسلفيّةُ القاهرةِ وبعض السلفيين من المحافظات شاركوا ولكن لم يكُونوا يحلمون أن مشاركتهم ستُجهز على الفرعون بل أقصى مُناهم أنها ستفتح باب إصلاحٍ جديد..

وهكذا فإغراق الفرعون القديم منةٌ من الله، وخلع الفرعون الجديد منةٌ من الله: أغرقه الله بأمواج من الناس لم تكُن يومًا عُضوًا فاعلا ولا هيكليًا في الجماعة المؤمنة. ورأى جماهير الإسلاميين بعد خلع مبارك أن الله قد جاوز بالجماعة المؤمنة البحر وأغرق الفرعون وجنوده وأعوانه، ولم يبق إلّا الملأ وهم الفلول ومعهم عبّاد كل معبودٍ غير الله..

ها قد انزوت فتنةُ الشرّ إلى جانبِ مَجْرَى التاريخ قليلاً لتحلّ محلّها فتنةُ الخير ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٥]..

ها قد آن للجماعة المؤمنة أن تتنفّس: فأي عبير ستتنفّس أم أيُّ دُخان؟؟!!

ماذا جرى بعد العُبُورِ إذًا؟ تعالوْا نقرأ الفصل التالي؟؟!!

[4]

السامريّ

أخبَرَنا اللهُ تعالى بما قاله السامريُّ أثناء محاكمته: ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾ [طه:٩٦]..

الآن الجماعة المؤمنة قد جاوز اللهُ بها البحر وأغرق الله الفرعون؛ فما بقي على المؤمنين غير الشكر وأن يبنوا المساجد ويعمروها بدلا من اتخاذهم بيوتهم مساجد، وأن يُطالبوا بحقوق أبنائهم قتلى الفرعون بدلاً من السكوت عن دمائهم، وأن يُعوّضوا نساءهم العفيفات خيرًا بدلا من مذلة المنع والتوظيف في دنيء الوظائف؛ وعليهم أن يقودوا الأمة بدين الله وشرعه قبل كل شيء..

مضى موسى لميقات ربّه وترك الجماعة المؤمنة في أمانة هارون عليهما السلام.. وكان في الجماعة المؤمنة دسيسٌ عابد بَقَرا! كان السامريّ.. يخالفُ منهجُه منهجَ الجماعة ولكن يكتُمُه في صدره!! رأى السامريُّ جبريلَ عليه السلام على فرسه يعدو في شق البحر، فقبض من أثر حوافرِ الفرَسِ قبضةً واحتفظ بها؛ وقع في روعه أن هذه القبضة المباركة لها خاصية تحويل أي شيء لما تهواه نفسه؛ فقبضها وانتظر اللحظة المناسبة لإلقائها حيث يُريد؛ وجد الجماعة المؤمنة تُلقي غنائمها من آل فرعون وقالوا: ﴿ وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا ﴾ في الكير لنسبكها ذهبًا خالصًا ننتفع به؛ فألقى السامريُّ فيها قبضة التراب ﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴾ لتكون ما يهواه هوَ لا ما تهواه الجماعة ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ فلما اندهش الناس من ذلك الفعل

الذي لا يفهمونه ظنوا أن هذا إرادة الله أن يتمثّل لهم ﴿ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾.. خدعهم السامريُّ بقبضة تراب مباركة، وشاء الله أن يبتليهم بالخير والسَّعة بعد أن كان ابتلاهم بالشر والقمع.. شاء أن يختبر إيمانهم بالغيب وثباتهم على المنهج فافتُتِنوا إلا قليلاً!!

افتُتِنوا باسم الدين والمنهج!! افتُتِنُوا بالتأويل والتضليل وهم الذين لم تَفتِنهُم عذاباتُ دهرٍ طويل!!

وهكذا يا إخوتي بعد خروج مبارك من القصر؛ كان على الجماعة المؤمنة بفروعها وشتّى انتماءاتها أن تنطلق في الدعوة وتعبيد الناس لربِّ الناس فتبني مؤسساتٍ تُعينها وتوقف أوقافًا تسيِّر أعمالها لغدٍ أفضل لا أن تنحصر في باب السياسة فقط، مُتناسيّة أن السياسة وسيلة لتعبيد الناس لرب الناس وليست غاية في ذاتها..

ظهر في كل فئة من الجماعة المؤمنة سامريٌّ يحرفُ وجهةَ أبنائها عن وظيفتهم الأساسية؛ أو يدفعها للتنازل لتتوافق مع الواقع السياسي بدلاً من أن توفِّق السياسة وفق ثوابِ الشرع الحنيف .. فصار لكل فئة من الجماعة المؤمنة سامريٌّ أو سامريُّون يصنعون لها أصنامًا مُدَّعين أنها صحيحُ المنهج وواجبُ الوقت يحرفون بها همّةَ شباب فئتهم عن أصلِ مُهمَّتهم وقديم منهجهم..

واشترك مع ذلك كل السامريِّين على شتّى فئاتهم في صنع عجلٍ أقرن أخْوَر فحل أوحد ضخم جمعوا عليه فئاتهم بدلاً من أن يجتمعوا على هدمه.. ذلك العجلُ الديموقراطيُّ الأوحدُ الذي له بيادة مكان حوافره وبين قرنيه صندوق تصويت وهو يخور بصوت نغمته "أنا حامي مدنية الدولة"!!

فأين شُكر نعمة زوال الفرعون من الانغماس في عبادة العجل وتقديم القرابين له قربانًا تلو قربان!! عبادةٌ شِركيةٌ هي أسمى معاني كُفران النِّعَم واستجلاب النِّقَم..

[5]

بَيْنَ مُوسَى وهَارُونَ

وخير الناس في رجالات الفئات المعدودين عند غياب موسى هو من قال كقول هارون عليه السلام: ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴾ [طه:٩٠] فقد قام بعض الدعاة داخل فئات الجماعة المؤمنة يُنكرون التسليم للديموقراطية تسليمًا تامًّا ويستنكرون عبادة العجل فما استجاب لهم إلا أقلّ الناس؛ ولكنَّ هؤلاء الدعاة سكتوا بعد بُرهةٍ كما سكت هارون عليه السلام وقال ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴾ [طه:٩٤] خشوا إذا اشتدوا في إنكارهم أن يفرّقوا الأمة ولم يدروا أنها إذا افترقت بين حق قليل وباطل كثير لكان خيرًا لها من عبادة العجل وأقْوَم!!

كان واجبًا عليهم أن يشتدوا على السامريّ وعُبّادِ العجل كشدَّةِ موسى حين رجع فوجد الناس انحرفوا عن الجادَّةِ فحكم حُكمَه حُكمَ ربّه: فعزل السامريّ عن تسوُّرِه قيادةِ الجماعة المؤمنة ونبذه حتى يموت ﴿ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ ﴾ [طه:٩٧] وجعله يُشاهدُ نهاية العجل بأمّ عينيه: ﴿ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴾ [طه:٩٧]. ثم ذكّر القوم بأصل المنهج الذي يجب أن يعيشوا عليه ويموتوا عليه ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ﴾ [طه:٩٨]. وأصبح عُبّاد العجل لهم علامات خزي يعرفهم بها الناس بعد أن كانوا في غياب موسى قد سادوا مع السامريّ..

فيا قوم أطيعوا موسى.. يا قوم أطيعوا أقرب الناس اتّباعًا لعزم موسى عليه السلام بعد ثلاثة آلاف عام ونيف.. اتبعوا من يُشابهُ عَزْمُهُ عزيمةَ مُوسى؛ ذروا السامريّين واتّبعوا من لهم عزم موسى ولا يغرّنكم سكون هارون فإن موسى أصدق عزمًا من أخيه وإن كان في كُلٍّ خير.. ولا تكونوا من عبّاد العجل بل انسفوه في اليم نسفًا تفلحوا إن شاء الله. والسلامُ على من تَبِعَ هَدْيَ أولى العزم من المرسلين، والحمد لله ربِّ العالمين.

علّمني شَيْخِي
(حِوَار في ضمير شاب من التيار الإسلامي)

علّمني شَيْخِي...

علّمني أن "المسجد" مُعَسْكَري وأن "المنبر" خندقي، فلمّا لاح له "كُرْسِيُّ الحُكم" هجرهما!!

علّمني أن "الياسق" جِبْتٌ كُفْرِيٌّ، ثم ارتضى لنفسه سُلطة التشريع وخطّ "الدُّسْتُورَ العالمانيّ" بيمينه!!

علّمني أن "الطّاغوتَ" نجاسَةٌ، ثم ارتمى يتقلّب في بِرَكِ تَجَاسَاتِ طواغيت الغرب والشرق!!

علّمني أن الحكم بغير ما أنزل اللهُ شركٌ أكبر، ثم مضى يردد في كل لقاء أنه يحترم أحكام القضاء!!

علّمني أنه لا عصبية لِحِزبٍ ولا لجماعة، ثم أوّل ما حُلّ قيدُه أنشأ حِزبًا وكرّس تقديسَ الجماعة!!

علّمني أنه لا عِزَّ إلا بالجهاد، فلمّا تمكّن قَتَل أهلَ الجهادَ في كل موضعٍ وحاصر غزّة وخذل سوريا وأفغانستان وبورما والعراق ومالي.. وقال: "و أنا مالي"!!

علّمني أن أبكي على المسلمين وأدعو لَهُم لاستضعافي، فلمّا ادّعى التَّمكِينَ أصَمَّ أذنيه عن صرخاتهم!!

علّمني أنه لا مُفاوضاتَ مع المُستعمِرين، فلمّا ترأّسَ كان وسيط الهُدنةِ مَعَهُم وجليس سفيرتهم ومعزّيهم في مصائبهم!!

علّمني أنْ أُنْكِرَ نفسي وأن أكونَ خَفِيًّا، فلمّا عُرِفَ هُوَ دَعَا لنفسه وحَصَر الإسلام فيمن أطاعَه ونفّذَ أمرَه!!

علّمني أن أعمل للهِ وحده لا لمالٍ ولا شُهرةٍ وسُلطةٍ ولا مَدِيح، ثم قبض ثمن أعمالي من الأربعةِ أصنافٍ وافِرًا وحده!!

علّمني الصبر على المخالِفَ مهما جَنَى وتَجَنَّى، فلمّا خالفتُه هُوَ هجرني وحذَّر منّي ورماني بكلِّ نقيصةٍ كنتُ قد سَتَرتُها عليه!!

علَّمني أن أترك الدنيا للهِ، ثم ترك شريعة اللهِ التي ما انتخبه الناس إلا من أجلِها طمعًا في حصادِ الدُّنيا!!

علَّمني أن "القميص القصير" من لوازم هَويّتي، فلمّا جالسَ ذوي "التوكسيدو" لَبِسَ "الكُرَافات"!!

علَّمني أن إعفاءَ اللِّحيَة شِعَاري، فلمّا خالطَ أعدائي قصَّرها حتى بان جلدُ خدَّيه!!

أو علَّمني أن حلقها وسيلةٌ تقرُّبٍ إلى الناس لدَعوتِهم وكَسبِ محبَّتِهم، فلمّا انتخبه أغلبُ الناس لَم يُعفِهَا!!

علَّمني ألا أتكلم إلا في فنِّي، فلما أدمَنَ "التُّوك شُو" أفتى في كُلِّ شيء!!

علَّمني أن أبذلُ للهِ دمائي، فلمّا عطشت الأرض للدماء استبقاني لخدمَتِه وحِفظِ جماعَتِه!!

أو علَّمني أن أحقِنَ الدِّماء لدرءِ المفسدة ودفعِ الفِتنةِ، فلما أتت مصلحتُه أخرجني ليسفك دَمي قُربَانًا لعُلُوّه الميمون!!

علَّمني وعلَّمني وعلَّمني.. ثم خالف ما علَّمني وأتى ما نهاني ولم يعُد كعهدِي به!!

قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [الفتح:١٠]..

[2]

على أبواب جهنّم

أخرج البُخاريُّ في صحيحه [7084] عن أبي إدريس الخَوْلانِيّ، أنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ رضي الله عنه، يَقُولُ: "كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي".

فَقُلْتُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟"

قَالَ: «نَعَمْ»

قُلْتُ: "وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟"

قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»

قُلْتُ: "وَمَا دَخَنُهُ؟"

قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»

قُلْتُ: "فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟"

قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»

قُلْتُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا".

قَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»

قُلْتُ: "فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟"

قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»

قُلْتُ: "فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟"

قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»

وفَصَل سُفيان الثوريُّ في القضية ما بين الشبَّانِ والشيوخ فقال رحمه الله: "إذا أحببتَ الرجلَ فِي اللهِ؛ ثمَّ أحدَثَ فِي الإسلامِ فَلَمْ تُبْغِضْهُ عَلَيْهِ فَلَم تَحِبّهُ فِي اللهِ" [الحِلْيَة، 34/7].

مِيتَامُورْفُوزِيسْ

[1]

دمٌ باردٌ

لماذا أخوضُ في عالم الحشرات والآفات حين أكتبُ عن صفّة النِّفاق؟؟!!

لأنّي لا أجدُ أشبه بطوائف المتنازعين على الكعكة اليوم من ذوات الدم البارد: في السمات الجمعيّة وفي السُّلوك!! ففي عالم الحشرات خاصّة وفي عالم ذوات الدّم البارد عامّة نجدُ ظواهر غريبة وطبائع أغرب في كيفية تكيُّف الكائن مع بيئته وتشكُّلِه وفق طبائعها وتبدُّل سماته وفق حالاتها!!

[2]

البعوضة

فالبعوضة التي: تطنُّ حولك، وتخترقُ جلدَك؛ لتمتصّ دماءك، وتلقّح بدنك بالأمراض.. لم تخرج من أحشاء أمها تطير وتطنُّ.. بل خرجت من بطن أمّها: بيضة مسكينة تضعها في الماء فتطفو مع أخواتها أيامًا، لتفقس عن يرقة ذات مجاديف تسبحُ لتتغذّى على عوالق مائية دقيقة لا تراها أنت ولا تحسّها، وتنسلخ من جلدها بضع مرّات، ثم تدخل في طور العذراء، فتحسبها أنت ساكنةً بينما يدور في داخلها تغيُّرات عجيبة تنتج في النهاية تلك الطائرات الحربية الحيّة التي تطنُّ وتمتصُّ وتؤرّق بني آدم!!

كانت وهي بيضة ويرقة وعذراء فريسة سهلة للأسماك وبَقّ الماء وغيره؛ ثم طارت وطنّت لتفترسك أنتَ وتمتصّ دماءك!!

[3]

الصُّرصُور

وقريبٌ منها الصُّرصور: تضعه أمُّه بيضة شديدة الضعف؛ فتلصق عشرين منها أو يزيد بلاصقٍ قويٍّ في حافظةٍ متينة تفقس منها الحوريات تباعًا صغيرة ضعيفة بلا أجنحة.. ثم تنبتُ أجنحتها شيئًا فشيئًا، وجسدُها يكبُرُ وهي تتغذّى على كلّ ما تجدُ، وتُغيِّر جلدها بضع مرّات حتى تصير صرصورًا ناضجًا طيّارًا يملأ المجارير حركةً وصريرًا، ويُرعبُ الأطفال والنساء إذا اقتحم نافذتك ليلاً، ويلوِّثُ طعامك إذا نزل ضيفًا على مطبخِك!!

هل هذا الفصل مُقرف؟؟!! ربما!! لكن واقعنا أكثر قرفًا!! ومصر بلدُ الفَقْرِ القَفْرِ والقَرّافَات ومن السُّخرية فَقَرات.. كما هي بلد الحشيش -أخضره وبُنِّيه- والزِّراعات وقنوات ماء النيل والقنوات الفضّائيات!!

[4]

تشَكُّل

أنا لا أتحدّث هُنا عن "التحوُّل في منهجية الجماعات المعارضة خاصّة الإسلامية منها" كما قد يبدو!! بل أقرّرُ هُنا أن هذا التحوُّل لم يكن يومًا تحوُّلا البتّة!! بل هو تشكُّل = ميتامورفوزيس = metamorphosis.. والتشكُّل منه الكامل ومنه الناقص.. فأنا أقول بأن معدنَ هذه الجماعات المعارضة التي تبدو متحوّلة لم يتغيّر ولم يتحوَّل!!

بل إن خصلة التشكُّل تعطيه مِزية الحِرباء لكنها لا تكتفي بتغيير لونها.. بل تغيّر جلدها، وخِطابها، وأطروحاتها، ومنهجيّتها، وشكل بعض أعضائها.. بل وتنقلب على أوليائها وتوالي أعداءها.. وتغيّر بيئة حياتها، ومحلّها، وحلالها، وحرامها.. وربما غيّرت أيضًا شِركها وإيمانها!!

فأنت -أخي القارئ- حين تلوم على "حمدين صبّاحي" دعمه لبشّار الأسد وتأييده لداعميه تريد القول بأن فعله هذا تحوُّلٌ عن القوميّةِ الناصرية وعدم مراعاة لها أو تلوم عليه إشعال البلاد طمعا في الكرسيّ!! فأقول لك: لا.. هو لم يتحوّل.. فقط كان على شكل المناضل بعض الوقت ثم أظهر شكل ناصريته الحقيقي.. فهكذا الناصرية!! ألم يضرب عبد الناصر اليمن بالنابالم!! ألم يكُن مبارك نفسه قائد أحد أسراب القاذفات (تي يو 16) التي أحرقت جبال اليمن وأهله بالسائل الحارق وترقّى بعدها ليقفز في سلّم الرُّتب ثم يقفز على رقابنا.. ألم يدفع عبد الناصر نفسه مالاً لقيادات عمالية لتحرق البلاد ليظهر بمظهر المنقذ مرسّخ الاستقرار بعد ذلك!!

وحين تتعجّب -أخي القارئ- من هذه القيادة الإسلامية أو تلك التي ترتمي في أحضان المجلس العسكري اليوم بكل إباحيّة فأنت تستغرب كيف تحوّلوا من مناضلين مساجين مضطهدين إلى أعوان للظلمة!! فأقول لك: لا.. هم لم يتحوّلوا!! فقط كانوا على شكل المضطهدين الإسلاميين بعض الوقت ثم أظهروا شكل ميكيافيلليتهم الحقيقي!! هؤلاء كان مسموحًا لهم بالخطابة وإلقاء الدروس وطباعة الكتب بينما مُنع آخرون!! وسُمح لبعضهم بتلقّي تبرّعات بالملايين بينما جُفّفت منابع آخرين!! وسُجن بعضهم في مستشفى السجن أو في عنابر براحٍ مع حواسبهم المحمولة والدّيب فريزر الممتلئ لحمًا، بينما قبع غيرهم في الجبّ العميق أو في مدافن سريّة!!

فالإخوان لطالما أشعلوا حماستنا بخطبهم عن الجهاد والاستشهاد ووجوب تحرير الأقصى؛ فلمّا دخل ثمانية وثمانون منهم مجلس الشعب في 2005 أيام مبارك لم يُفكّر أحدهم بحصد رؤوس النظام كُلّهم في جلسة حلف اليمين بحزام ناسف يمضي به شهيدًا، ويحل مشكلة أمة دون إراقة دماء المدنيين العُزّل أو الاحتياج لثورة شاملة كـ 25يناير!!

وقبلها في 2003 وقف السلفيون أمام كنيسة محرم بك التي سُبّ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلّم في مسرحية مثّلها طلاب الثانوية الأرثوذوكس المجرمون، وقف السلفيون يتحدثون عن أنهم يودُّون أن يُقطّعوا في سبيل الله لينتقموا له، لكن ميزان المصلحة والمفسدة يقتضي السكوت وخفض النبُّوت!! فلما أتى موطن التقطيع في سبيل الله من أجل إعلاء شريعته باعوا للطّاغوتِ أصدَقَهُم عزمًا وأكثرهم أمانة وحزمًا، وتآمروا على دماء الشباب التي سُفِكت وروت شجرة صعودهم إلى كراسي البرلمان في التحرير ومحمد محمود وسائر ميادين وشوارع مصر.. بل وخرج كبيرُهم -بعد الثورة بعامين- مبتسمًا مُهادنًا في برنامجٍ مع مذيع و ممثل أرثوذوكسيّ شهير كان وثيق الصلة بإخراج المسرحية المُجرمة! فباعوا كل ذلك وقبضوا الثمن ولن يدوم والله ذلك الثمن البخس!!

ما الفرقُ بين نفعيّ الإسلاميين -زعموا- وبين نفعيّ غيرهم إلا شعارات لا يقدّرونها حقّ قدرها، وشعائر يدّعون ممارستها ولكنهم لا يعظّمونها حقّ عظمتها، والكلُّ في خدمة أعداء الإسلام اليوم سواسية مَسُوسُون مُسَوّسون سَبَارِسَة!!

إن الإنسان من ذوات الدم الحار!! ومن لم يكُن حار الدم فليس إنسانًا!! فذوات الدم الحار لا تستطيع التشكُّل حتّى لو أرادت!! وهامش تأقلمها مع بيئتها بسيطٌ ضعيف: يلائم حفظ الحياة لا نهبها!! فالإنسان لا يستطيع البيات الشتوي ولا الكمون الصيفي ولا الطيران ولا مصّ الدماء.. ولا يستطيع الانسلاخ من قميصه الأبيض إلى بدلة السياسيين كما ينسلخ الصرصور من جلد ضيّقٍ إلى آخر أليق بحجمه الجديد!! ولا يستطيع الانتقال من المساجد إلى قاعات البرلمان كما تنتقل البعوضة من السباحة في الماء إلى الطيران في الهواء!! فقط ذوات الدمِ البارد تفعل!! وأشْبَهُ ذوات الدم البارد بصفات الجماعات المعارضة التي تتقاتل على الكعكة اليوم هم الحشرات!!

إن الله جعل في كتابه علامة يعرف بها الناس أهل الحق إذا حكموا وجيل التمكين إذا علَوا وساسُوا.. فقال عزّ من قائل: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [الحج:٤١] أمّا الذين جعلوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تُهمة يتنصّلون منها ويُقسمون أغلظ الأيمان في كل وسيلة إعلام أنهم منها براء فليسوا أهل الحقّ وليسوا جيل التمكين.. وكلامُ الله شاهدٌ عليهم!!

وهنيئًا لكم معشر الحشرات ذوي الدم البارد!!

[5]

مُوالاة

إنّ موالاة الظالمين لا تكون لمصلحة الإسلام أبدًا!!

ولا تكون اجتهادًا خاطئًا أبدًا!!

بل لا يُوالي الظالم إلا ظالم مثلُه ولو كان يحسبه الناس على خير!!

ولا يُوالى الظالم علانية ممّن كان مستور الحال إلا من كان ظالمًا في السرّ ثم افتُضِح!!

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام:١٢٩].. فسبب أن الله ولّى فلانًا الظالمين وجعله صاحبًا لهم وتابعًا لهم وشريكًا معهم؛ أنه كان يكسب السيّئات مثلهم فشابههم أو كان عونًا لهم فجمعه الله بهم!!

صدق الله إذ قال عن كتابه: ﴿ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية:٢٠].. وأيُّ بصيرة في غير وحي الله تعالى؟؟!!

[6]

الثَّعْلَبُ

إخوتي الفُضلاء..

طلاب العلم النُّجَباء..

كلُّنا في رحلتِه للطَّلَبِ يرى العجب العُجاب..

ويختبر الغثَّ ويكتشف الثمين..

وللأسف ينكسر فينا الكثير عند صدماتٍ عنيفةٍ..

صدماتٍ نرى فيها القُدْوَة أسفل من الحُذْوَة..

ونرى فيها المَثَل مُرادفًا للزَّلل..

ويجب علينا إذا ما من الله علينا بمحنة الصدمةِ وانهدامِ الرُّموز..

يجب علينا أن نضع نُقطة في آخر السطر..

ثم نقلب الصفحة المُسْوَدَّة لنبدأ للتَّوِّ في ظهرها صفحة جديدة بيضاء يزيدها شدة وصلابة ما تشرَّبَتْه وجفَّ على ظهرها من حبرِ السوادِ السالف..

وأنا هنا أذكر حادثةً عَرَضَتْ لكثيرٍ منَّا وهي أن يُعايش شيخًا همَّه الصعود على عِظَامِ الناس ظنًّا منه أنه من عِظَامِ الناس!!

يتعرف أساطين العلم ليركب أجنحتهم إلى نشر الكتب والانطلاق في الفضائيات والشَّنكبُوت "النت".. بينما بنيانه هو أوهن البيوت..

لا يريد التصحيحَ والائتلاف بصفاء نفس وحب.. ولكن يريد الشهرة وإن ادعى رفضها والهروب منها..

معقدٌ غريب من معقدات الصحوة الحديثةِ في شتى بقاع الدنيا..

فإن عود الدعاوى لمَّا يشتد يدبُّ فيها كل ناخرٍ من دوابِّ الأرض..

ولست هاهنا أسمي أحدًا، ولا أذكر مكانًا ولا مدرسةً..

إنما أحببت التأريخ لانتهاء ذلك الزمان في حياتي، وابتداء صفحةٍ جديدةٍ أنتقي فيها -إن شاء الله- أطيب الثمار..

موقفٌ أحرقني وأحرق منكم الكثير..

فوصفته..

عسى أن يُثيرَ الشجون..

وأنا الرأسُ الرئيسُ.. ها هنا ما دمتَ فينَا

وأتـــى الثعلـــبُ يومًــــا ** في ثيــــاب النَّاصِــــحِينَا

طـــوَّحَ الـــرأسَ شـــمالاً ** طـــوَّحَ الـــرأسَ يمينَـــا

طَقْطَـــقَ السُّـــبْحَةَ يُحصِـــــي ** عِـــدَّةَ المتفرِّجِينَـــا

قـــال لي والعـــين تـــدمع ** يـــا بُنَـــيَّ الْـــزَمْ نَبِينَـــا

ثـــمَّ لَمَّـــا بـــان سُـــخْطِي ** لِضَـــيَاع التَّابعِينَـــا

قـــال: إنَّ الأرضَ حِكْـــرٌ ** لا تَسَـــعْنَا ناصـــحينَا

بِـــدَعٌ مـــن كـــلِّ مَـــاضٍ ** جُمِّعَـــتْ نَهْجًـــا مَهِينَـــا

قـــال: لي أُسْـــدٌ رِجَـــالٌ ** خَـــيْرُ نـــاسٍ مُومِنِينَـــا

يَلبَسُـــونَ ثِيـــابَ ديـــنٍ ** أنـــتمُ المـــتَعَرِّبينَا

لـــيس يلزمنـــي فُـــلانٌ ** أن يُقَـــيِّمَ أو يُبِينَـــا

قـــال: قـــد لَبِثْـــتَ فينَـــا لُبـــثَ خـــير الفَاهِمِينَـــا

مُخْـــبِرًا تســـعَى حثيثًـــا ** تَعْلَـــم السِّـــرَّ الـــدَّفِينَا

قـــد علمـــتَ مـــا مُـــرَادِي إذ أردتُ الإلـــفَ دينَـــا

إلـــفَ نـــتٍ وكتـــابٍ ** لـــيس إلـــفَ العاملينَـــا

قـــد علمـــتَ الأصـــلَ عنـــدي ** وعلمـــتَ المبـــدّلينَا

أرســـل الـــردَّ إلـــيهم ** وابغنـــي ردًا أمينـــا

هـــل أريـــتَ الأمـــر (شـــيخًا)؟؟. ذا هـــو الـــرأسُ يُرينَـــا

قلـــتُ: لا .. لـــيسَ مَقَـــامِي ** أن أرَىٰ شَـــيْخًا حكـــيمًا

قـــال بـــأن: لـــه كتـــابٌ ** يجعـــل البدعـــةَ دينَـــا

قـــال بـــالتعريض لَّمـــا ** يُلـــقِ تصـــريحًا مُبينَـــا

قـــال: بـــأن الحـــقَّ حقَّـــا ** مـــا أقـــرَّ الـــرأسُ فينَـــا

و أنـــا الـــرأسُ الـــرئيسُ ** هـــا هنـــا مـــا دمـــتُ فينَـــا

قـــال: لـــيس يَسْـــعَكُمُ خِـــلافِي ** في المدينـــةِ مُرْجِفينَـــا

إن تكُـــنْ حقَّـــا شـــجاعًا ** نـــاقشِ الـــرأسَ عَلينَـــا

أو تُســـاقَ في القطيـــع ** سَـــوْق تَـــيْسٍ يبتغينَـــا

قلـــتُ: لَّمـــا بـــان سُـــخْطِي ** لِضَـــيَاع القائـــدينَا

لَـــنْ يَزيـــدَ الإلـــفُ عمقًـــا ** إلْفُنَـــا حقًـــا لَعينَـــا

إلْفُنـــا إلـــفٌ مَقيـــتٌ ** لافتـــاتُ المـــلْفتينَا

الباب الثاني

مُشكلات قيادات الصفّ الثاني

كُودُوكُو-شِي

[1]

خيال ياباني

المشهدُ الأوّل:

إنّه الزلزال.. كل شيءٍ يهتزّ!!

الشبّان داخل مبنى "الجامعة" والجدرن تتصدّع والسقف يهوي قطعةً قطعةً..

صوتُ أزيزٍ هائل يملأ الكون؛ إنّه المفاعل بوشكُ أن ينفجر!!

نظر كونان، وميتسو، وچيلتا إلى بعضهم برعب؛ ثم أعطى كلٌّ منهم ظهره لصاحبه وانطلق في ذعرٍ إلى ما ظنّ أنّه يُنجيه!!

المشهدُ الثاني (بعد فترة):

كونان: في ملجأ محصّن وقد تعرّف على ناجين آخرين فرّوا إلى الملجأ كما فرّ..

چينتا: ميّتًا بين جُثث الذين فرّوا من الزلزال إلى داخل قاعة الدرس أثناء تساقط أركانها!!

وميتسو: ملقىً في الغابة وقد أكل الذئب رأسه!!

ميتسو عانى (الموتَ وحيدًا = كودوكو شي).. فما شأن كونان وچينتا؟؟!!

[2]

ليست كلّها أوزار قادة

عودة إلى مصر.. إلى داخل الصف الإسلامي تحديدًا!!

فقد زلزلت أحداثُ يناير وما تلاها إلى اليوم وجدان الكثيرين؛ ففقد أناسٌ ثقتهم في جماعاتهم وامتد اهتزاز البعض ففقدوا ثقتهم في مناهجهم التي طالما انتحلوها..

فمنهم من شذّ على غير هُدى فأكله الشيطان كما أكل الذئبُ "ميتسو"..

ومنهم من انفرد عن قادته يبتغي ملجًا آمنًا وقيادة أخرى كـ"كوبان"..

ومنهم من ازداد التصاقه بجماعته خوفًا من مصير كمصير ميتسو؛ فمات أيضًا لكن في صُحبةٍ كـ"چينتا"!!

كثيرون داخل الصفّ الإسلامي؛ سواءٌ القادة أو الأتباع يرفضون التغيير أو تعديل المسار أو الإصلاح..

وسأتكلم هُنا عن رفض الأتباع وأترك رفض القيادة؛ فرفض القيادة قد لا يعنينا إذا استجاب الأتباع؛ لأنهم باستجابتهم سيشكلون جمهور ضغط داخلي تنصاع له القيادة.

[3]

فوبيا

لقد ناقشتُ عددًا لا بأس به من القياديين الشبّان في الجماعتين الإسلاميتين الكبيرتين بمصر: الإخوان والدعوة السلفية: فوجدت البعض في رضًا عن قرارات قادته والبعض في سَخَط.

الغريب أن عددًا كبيرًا من الساخطين كان يظهر الوفاق والتعاون والطاعة لقادته في جنس ما يُخالفهم فيه!!

سألتُ أن: هل هذا من باب النزول على رأي القائد درءًا للاختلاف مع اعتقاد سواغ الخلاف؟

فوجدتُ أن الإجابة: لا بل أعتقد أن ما يجري خطأ لكن أخشى أن يتم إقصائي وأترك وحدي!!

إنّه الرُّهاب إذًا وليس الحرص على رأب الصدع وجمع الشمل!!

إنه رُهاب الموت وحيدًا = كودوكوْ-شي فوبيا!!

ذلك الرُّهاب الذي جعل چينتا - في القصة بعاليه- يفضّل الموت مع أقرانه على محاولة الوصول لملجأ آمن كما فعل كونان!!

ألهذا الحد تقوم حكوماتُ ظلٍّ داخل الجماعات بدور أمن الدولة؛ فيُرهب الأخ أخاه ويقمعُه!!

ألهذا الحد صار الإقصاءُ والمنعُ والعزلُ سيوفًا مُسلطة داخل الجماعات لوقف الاعتراض على السياسات العامّة؟؟!!

لقد ناقشتُ أحدهم دافعًا له ليكون جُزءًا من جهة ضغط داخلية تدفعُ لتغيير توجّه الجماعة ناحية ما يعتقدون فقال لي بالنصّ: "سنُهرَس"!!

لوْلا المشقةُ سادَ الناسُ كلُّهمُو .. الجودُ يُفْقِرُ والإقدام قتّـال

[4]

وباء

إن اليابانيين يعانون وباءً يجتاحهم بعد الهزّاتِ هو الموت وحيدًا (كودوكو-شي) حين يفقد الشريد البوصلة فيموت وحده..

بينما نحن داخل الصفّ الإسلامي نُعاني رُهاب الموت وحيدًا (كودوكو-شي فوبيا) حين يلتصق الصحيحُ بمصابي الوباء ولا يُحاول الهرب؛ فيلحقهم إلى مصيرهم المحتوم..

فلا هو أصلح ما يراه خطأ، ولا هو تحرّف لنضالٍ آخر، ولا هو تحيّز إلى فئة.. بل ولا مات -حين مات- شهيدًا!!

لقد خان هذا الكادر أول ما خان جماعته!! فعجزه عن الوقوف ضد التيار لا يُسقط عنه وجوب الصدع بالحق. وخوفه من إخوانه أو خوفه على مكانته ليس اضطرارًا يُعتبر شرعًا ليسكت ويسير في ركب يعتقد انحرافه عن جادّة الصواب.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

« لا يَحْقِرْ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ »

قَالُوا: "يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَحْقِرُ أَحَدُنَا نَفْسَهُ؟"

قَالَ: « يَرَى أَمْرًا لِلَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالٌ ثُمَّ لا يَقُولُ فِيهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِي كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: خَشْيَةُ النَّاسِ، فَيَقُولُ: فَإِيَّايَ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَى ».

كنتُ أرجو أن يكون خوف من يحقر نفسه من عدوّه؛ لكن أن يخشى الساكتُ من أخيه أو من شيخه كما أرى الآن!! أن يخشى من الوَحدَة التي سيعانيها إذا اعترض أو ناقش برفضٍ وممانعة!! ما أبخس ما باع به الحق!!

حُبُّ السلامةِ يَثْني عزمَ صاحبه .. عن المعالي ويُغري المرءَ بالكسلِ

[5]

سأحيا كريمًا

أن ترى العسكر والمخابرات يديرون الجماعتين الكبيرتين عبر لعبة ثعلبيةٍ كبيرة وأن ترى القادة يرضَون بهذه الإدارة الماكرة أو يغفلون عنها، وتراهم يطعنون بأيديهم مَوَاطِن القوى داخل جماعاتهم ويُفكِّكون أذرعها الفاعلة.. ثم تسكُت؛ ليس خوفًا من العسكر بل من مشايخك وإخوانك؛ فأي حقارة وضعت نفسك فيها كما في الحديث. لقد قدّم العلامة أحمد شاكر كتابه الذي هو مجموع مقالاتِ المعنون بـ"كلمة الحق" بالحديث الصحيح السابق لعظم دلالته على مضمون الكتاب؛ فأين أنت أيها الكادر الإسلامي الذي عانى الاضطهاد والقهر سنينًا من كلمة الحق!! لقد كان ولا يزال في المسلمين من يقول كلمة الحق في وجه السيوف والرصاص والقنابل!! فأين أنت من قول الحق أمام غضبة شيخك أو إقصاء إخوانك لك؟؟!! أتحسب أن سكوتك محافظة على مكانتك الدعوية أو استدفاعًا لـ"هَرس" سيجني لك عزًّا وخيرًا؟ لا يكُن شعارك "سأحيا ذليلاً"!! أو وفق الحديث بعد سكوتك يكون شعارك "سأحيا حقيرًا"!!

إن كلماتي لك أيها الكادر -المعترض باطنًا المتعاون ظاهرًا- ليست طلبًا لدفعك للاعتزال ولا لمهاجمة أهل الفضل عليك؛ وكذلك ليست لتحميلك المسؤولية كلها وتبرئة القيادات الكبيرة من مسؤوليتها عن انحراف جماعاتها ولكن كلماتي إشراكٌ لك -ولغيرك من القيادات الصغيرة الساكتة الخائفة- في مسؤولية الانحراف، وبيانٌ لصعوبة الضغط الداخلي بسبب ذلك المرض المستشري (كودوكو-شي فوبيا) أو رهابُ الموت وحيدًا.. ولا موتَ معنويًا أشد من الوَحدة.

[6]

مِنَ القلب..

اعلم أخي الرَّاهب من الإقصاء؛ أن خوفك قد ضلّ سبيله!!

فإنما ينبغي أن يكون خوفك الحقيقيّ إذا أكرمك من تراهم على خطأ سواءً كانوا أعداءك أو إخوانك؛ قال الثوريُّ رحمه الله: "ما أخاف من إهانتهم لي، إنما أخاف من إكرامهم لي فيميل قلبي إليهم".. فأنت اليوم معترض في السرّ غدًا يتشرَّب الانحرافَ قلبُك.

أخي.. لا تخف من الإقصاءِ، فالكبتِ، فالموتِ وحيدًا.. ولكن خفْ ممّن سيُبكّتك بقوله: « فَإِيَّايَ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَى »..

كتبتُ هذا لك.. لكلّ من هذا حالُه فلستُ أقصد أحدًا بعينه.. هو لك إذا مسّ حالَك وسكوتك!! كتبته لك فأرجو أن يفتح اللهُ له قلبك؛ واللهُ وليُّ المؤمنين.

[7]

مَوْقِفٌ

لابُدَّ لكَ في كلِّ أمرٍ من (موقفٍ) تُحدِّد فيه ما تريدُ وما لا تريد..

ما ترضَى وما لا ترضَى..

تُقرِّر فيه المُضِيّ قُدُمًا، أو الثبات حيثُ أنت، أو الرُّجوع القَهْقَرى..

إنَّ هذا (الموقف) لَهُوَ الأساسُ لمُسْتَقبلِك..

هذا (الموقف) هو (القرار) الذي مَنَحَكَ اللهُ تعالى نعمةَ اتِّخاذِه..

ثمَّ جعل لك منفعته، أو عليك وِزْرَه..

هذا (الموقف) هو الفيصلُ بين النَّجاحِ والفشلِ، والتَّعاسَةِ والهَنَاءِ..

هو المبتدأُ لوضعٍ جديدٍ تَرْسُمُهُ انت بريشتِك، وتَضَعُ ألوانَهُ لونًا لونًا كيفما تُريد..

يقول الغربيون ومن نحا نحوهم أنَّك بذلك تصنع قدرك making your own destiny، وهذا بعيدٌ كل البعدِ عن الحقيقة..

حيثُ إن الله تعالى قد خلقك، وكذلك خلق أفعالك واختياراتك..

ولكنه تركك بالاختيارِ وقد سَبَقَ في علمِهِ الواسعِ المحيطِ أنَّك ستختارَ كذا أو كذا..

لذا فأنت تختار، والله هو صانع قدرك، ويُيَسِّرك لما اخترته أنت بكامل إرادتك وتمام عقلك؛ فأنت فاعلٌ مفعول..

أهم ما في هذا (الموقف) هو: كيف تَقِف؟؟!!

فأنت يجب أولاً أن تَدْرُسَ حَالَكَ بتأنٍ ورَوِيةٍ وصبرٍ..

ومن ثمَّ تَخْلُص إلى (القرار)..

ثم تبحث هذا (القرار) وتَزِنهُ وتقيِّمهُ..

فإن وجدت (القرار) صالحًا وضعته موضع التنفيذ، وإلا عدّلته قدر ما يُقرّبك من تقليصِ الخسارةِ وتحصيلِ أكبر المنفعة..

وذلك كله إثر استخارةٍ واستشارةٍ..

ولا ضلّ من استخار، ولا خاب من استشار..

وأعقلُ الناسِ مَنْ لمْ يرتكِب سَبَبًا ** حتَّى يُفَكِّر ما تَجْنِي عَوَاقِبُهُ

وها أنت ذا قد عرفت كيف تقف..

فأنت إن فعلت ما سبق فقد وقفت على أرض صلبة ويبقى (التنفيذ)..

فإلى (التنفيذ)..

لا تتردَّد.. أبدًا لا تتردَّد..

فالرزقُ، والإحياءُ، والإماتةُ، وتدبيرُ الأمرِ، والحكمُ كلُّها للهِ تعالى وحده، بلا شريك ولا مُنَازِع..

فكلُّنا له عبدٌ مربوب..

كلنا من الفقيرِ والغنيّ.. والسلطان والسُّوقَة..

وهو وحدهُ جلّ وعَلا ربُّ العالمين القائمُ بكلّ شؤونِ العبادِ..

سبحانَهُ جلّ شأنُه يُربّي عباده بالنِّعمِ.. وليسَ من وليّ نعمةٍ سواه..

وبما أن الله هو الرب..

فلم التردُّد!!

لم الخوف من الضرر..

لم اتّقاء سُخريةِ الناس..

لم الرهبة من انقطاع الرزق..

اجْمَعْ عَزْمَك..

وعلِّق بالله رجاءَك..

ثم امْضِ قُدُمًا ولا تلتفت..

لا يستخفَّنَّك الناس..

ولا يُرهبنَّك عزٌ ولا سلطانٌ..

ولا يَضيرنَّك ما ستخسر..

ولكل (موقف) متالِف..

واللهُ عنده بدلُ الخير..

اجمع مع التوكُّلِ صبرًا.. وامزجه بماء الرَّجاء.. واغمسْ كلَّ هذا في حُسنِ ظنٍ بالله عزَّ وجلَّ..

ثم اجعل كل ذلك عُدَّتك وعَتَادك ووقودك طوال (وقفتك)..

فإن (الوقفة) قد تطول وتطول..

وإياك أن تتزحزحَ.. فإن النصرَ مع الصبرِ.. وإنما النصرُ صبرُ ساعة..

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾ [الطلاق:٤].

الباب الثالث

مُشكلات جماهير الحركيِّين

رُبَّما يكون مُغْلقًا

إنَّ الرائحةَ تملأُ الجو..

تُعبِّقُ الملابس..

تخترقُ الأنوف..

وتصلُ إلى أعصابهم!!

فتُنكر الأعصابُ وجودَ تلكَ الرائحة!!

نعم!! هكذا أخبرني أستاذُ علم السُّموم عن سُكَّان عِزبةٍ صغيرة بالإسكندرية تُجاورُ واحدةً من أكبر محطَّاتِ الصَّرفِ الصِّحيِّ في المحافظة!!

[1]

ريسيبتُور receptor

قال ذلك الأستاذ:

"كلُّنا نَشمُّ الروائح التي في الهواء بأنوفنا؛ لكن ليس الكل يشمّها بمُخِّه!! فعامل تطهير البالوعات لا يشعر برائحة النجاسات!! وعامل تنظيف الأسماك لا تشغله رائحة الزُّفارَة!! وعامل الزرائب لا تزكم أنفه أبخرة البول والروث الخانقة!!

لأن السرَّ يكمُنُ في (الرّيسِيبتُور)؛ ودوره فعليًّا: المُستقبِل، ولكنه عمليًّا: الكاشِف!!

فلكلِّ مادة خلقها اللهُ في بيئتنا كاشِفٌ خاصٌّ يستقبلها ويتلقّاها حين تصل إلى المخِّ عبر الأعصاب.. فإذا قرأها الرّيسِيبتُور قرأها المخّ وانفعل لها، وإذا عَمِيَ عنها الرّيسِيبتُور أنكرها المخّ ولم ينفعل لها.

وقد قضى اللهُ سبحانه أنه: حالَ تشبّع الجو بالرائحة لمدةٍ طويلةٍ فإن الرّيسِيبتُور الخاص بها في المخِّ يُنهَك من كثرة ما يستقبله؛ فيتعطّل تمامًا ويصبح غير قادر على تمييزها" ا.هـ!!

قلتُ لنفسي: سبحان الله.. وكأن الرائحة تحاول الاتصال بالمخّ فتُجيبها رسالة مُسجّلة: (عفوًا.. الريسِيبتُور الذي تحاول الاتصال به ربما يكون مغلقًا أو خارج نطاق الخدمة)!!

حينها يصبحُ اسمُه: (بْلُوكْد ريسِيبتُور blocked receptor) أي: كاشِفٌ محظور ومعطّل ومسدود!!

فتحدث حالة (الشمّ واللاَّ-شمّ)!!

أو (الاستنشاق واللَّا-حسن)!!

فيعيش في رائحة النجاسة ويستنشقها لكنه لا يشمّها!!

إنه إلفُ النَّتَنِ واعتيادُ الزُّفارة!!

بارك اللهُ في أستاذ علم السموم الذي ذكرني قولُه حينها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»!!

فإنّ في قلوبنا لكل باطلٍ وبندٍ من بنود الجاهلية رسيبتور يقرؤه ويحذر منه!!

وإنّ كاشِفَ الروائح المنغلق في المخ هذا (بلُوكْد رسِيبْتُور) يقابله في القلب كاشِفُ فتن منغلقٍ آخر في قلب المفتون المنحرف عن طريقه الأول!!

وهذه إخواني مُشكلةُ العامّةِ.. ووَباءُ الجمهور.. سواء جماهير الحركيين أو عوام المسلمين!! إلفُ الباطل وانغلاق الفهم عن تمييز أنه باطل أصلاً!!

[2]

محصورٌ

روى مسلمٌ [231] من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا»..

فروائحُ النجاسات لا تعبّق الهواء مرةً واحدة بل تتسرب قليلاً قليلاً، وتتراكم مرة بعد مرة!!

تماما كأسباب فساد المنهج؛ لا تأتي مجتمعة بل واحدة واحدة ينسجها شياطين الإنس والجن كما ينسجُ الحُصَرِيُّ حصيره.. يرُصُّ أعواده واحدًا تلو آخر.. يربطها ويشدُّها بعضها إلى بعض..

فأنت أيها العامل للإسلام لا تقتنع فجأةً بنظريةِ الخروج الآمن للطواغيت؛ بل تبدأ معك الحالةُ: بإيمانك ألاّ تُعارضَ النظامَ علانيةً حتى لا تُذعره على الدعوة أو الجماعة، ثم تتطور إلى السكوتِ عن تعذيبِك وهتكِ عِرضِك وسرقةِ مالِك من قِبَل أمن الدولة، ثم تجدُ نفسك مُستحسِنًا أو ساكتًا عن تعزية قادتك لمبارك في موت حفيده رُغم صمتهم الرهيب عن تعزية الملايين من ضحاياه!!

ثم شيئًا فشيئًا تقتنع بعدم النزول في الثورة، ثم تعتنق الرأي القائل بالصبر على مبارك كرئيسٍ حتى نهاية مُدّته، ثم ينتهي بك الأمر مؤمنًا أن الحِنكة السياسية تقتضي إعطاء الطواغيت حقّ الخروج الآمن وتجد نفسك أول المستجيبين لدعوة مشايخك بحماية مديرية الأمن أو حماية مكتسبات الثورة من قيام ثورة أخرى!! رغم أن هناك داخليةً وجيشًا قادران على حماية ومنع ما يشاءان، لو أرادا!!

وما زال الحصير يُنسج وأنت محصورٌ فيه.. تلسحب في حبائل الشياطين مرة بعد مرّة!!

قد يوجد في الأفراد من لا يعرف الباطل أصلاً فبالتالي ليس لديه هذا الرّيسِيبتُور.. لا بأس.. لكن هذه جريمة أخرى لأنه كما قال عُمر رضي الله عنه: "تُنقض عُرى الإسلام عُروةً عُروةً؛ حين ينبتُ فيه من لا يعرف الجاهلية"، والأصل أن واجب الدُّعاة إنشاء ريسيبتورات الباطل في قلوب المريدين تلك التي تجعلهم قادرين على معرفة الباطل والحذر منه؛ لا أن يقوموا هُم بنسج حصير الفتن على أتباعهم ويسوقوا الحجج والبراهين مرة بعد مرة على أن: التنازل هو الثبات، وأن الانحراف هو الاستقامة، وأن الباطل هو الحق!!

[3]

مَنْكُوتٌ أبيض ومَنْكُوتٌ أسود

ثم بيَّن صلى الله عليه وسلم في حديثه انفعالَ القلوب تجاه تسرُّب الفتن البطيء هذا وجزاءها إثر انفعالها فقال : « فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ »..

فأيّ إنسان رضي بالبقاء بين النجاسات تشبّعت كاشفاتُها لديه والغلقت؛ وأيّ إنسان اشمأز ابتداءً ونفر وترك موضع النجاسة بقيت كاشِفاتُه حيّة تشمئزّ وتدفعه دومًا للمواضع الطاهرة جميلة الرائحة!!

وكذلك أيّ عامل للإسلام رضِيَ وصَمَتَ على انحرافٍ بسيط؛ ضَعُفَ في قلبه ريسِيبْتُور الباطل الحارس عن الوقوع في هذه الحالة.. وشيئًا فشيئًا مع تكرار الاختبار ينغلق الرّيسِيبتُور فينعدم حذره منها بعد ذلك؛ وأيّ عامل للإسلام أنكر هذا الانحراف البسيط بقيَ ريسِيبْتُور الباطل لديه عاملاً يؤزّه على تركه والبحث عن الحق الصريح.

فترى نفسك أيُّها المنكوت بالسواد وقد استحسنت في الأمس البعيد تنازلَ بعض الأخوات المنتقبات في كشف نقابهنّ ليدخلن الامتحانات التي مُنعوا منها بحجة أن كشف الوجه جائز في حال الشهادة، متناسيًا أن المقصود ليس التأكد من شخصياتهن ولكن الإذلال؛ فنُكِتت هناك في قلبك نُكتةٌ سوداء أغلقت على فهمك بالأمس القريب وجوب نصرة فتاة التحرير التي داسوها وعرُّوها لأنها لا ترتدي تحت العباءة درعًا من الكيفلار أو بدلة غطس!! بينما من ثار يومها وقال: تترك ابنتي الامتحان وتصون وجهها هو الذي انتفض مدافعًا عن عِرض من لا يعرفها؛ لأن قلبه نُكِتَ يومها بالبياض الناصع!!

ومن نظر بالأمس إلى تظاهرات كاميليا شحاتة على أنها شقٌّ للوحدة الوطنية أو استعداءٌ للكنيسة ولم يخرج فيها لأن مشايخه لم يُعلنوا صراحة أنها قضيةٌ

واجبٌ فيها النصرة: تراه بعد ذلك يصمت عن سجن أبي يحيى بلا ظلم ولا جريرة، ولا يحرّك في نصرته ساكنًا حتى لا يستعدي المجلس العسكري، ولأن مشايخه لم يوجّهوا صراحة لنصرة هذا الأخ!! بل ربما لأن أبا يحيى شتم المشايخ يومًا!! وترى المنكوت يقول: فكيف أنصر أخا مسلمًا مظلومًا شتم مشايخي؟! حتى أخرج اللهُ أبا يحيى وليس لأحدٍ من الناس عليه فضل.. وقِسْ على تلك الحادثة سكوت منسوبي الجماعات عن اعتقال أي شاب من شباب التيار الإسلامي المستقلين أو منسوبي الجماعات والتيارات الأخرى.. بل ربما يحملونه مسؤولية اعتقاله ويزدرونه؛ لأنه لم يستمع إلى أوامر مشايخ جماعاتهم!!

وكذا من لم تحرّكه دماء قتلى الثورة أن يأزل فيها فلم يتحرّك في محمد محمود ولا في العباسية!!

لستُ أرجم بالغيب وأشقُّ عن القلوب.. ولكنها يا أخي حقائق الأشياء!! لربما اختلفنا على الأمثلة التي ذكرتُها بعاليه؛ لكن دعنا نتفق على أن الزلّة يعقبها زلاّت!! أمّا قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ [آل عمران:١٥٥] أي دفعهم الشيطان للسقوط بسبب إسقاطهم أنفسهم في ذنوب مشابهة سابقة..

دومًا هكذا الأمر: إذا انتهجت عارًا في قضية فاعرف أنك نزلت دَرَكًا من المعرّات أصغر منه قبل ذلك حتى تنحطّ اليوم فيما أنت فيه!!

أليس قد قال اللهُ عن الثابتين إن ثباتهم منبتّه ثباتٌ سابق فقال: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح:٢٦] أي أنه سبحانه ثبّتهم على التوحيد لأنهم قبل ذلك كانوا هم أهله والمدافعون عنه من دون الناس!!

[4]

وافترقت القلوبُ

ثم بيّن صلى الله عليه وسلم مصير القلوب تبعًا لتفاعلها مع الفتن فقال:

« حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ »، فنحن نرى الناس قد تمّ تصنيفهم وفق الريسيبتور إلى صنفين: صنف لا يرضى بدنُه بهجوم الروائح النتنة فينفر منها فور وجودها ويبحث عن الهواء العليل؛ وصنف اعتادها وتعايش معها وسكن جوارها وعدّها هي الهواء العليل!! وإنه لهو العليل!!

فكذلك يخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مصائر القلوب وفقا لاختيارها أتتشرب الفتنة أم لا؟ فنراهم انقسموا قسمين: قسم لا يرضى بأي تنازل ويضحّي من أجل ثباته بالغالي والنفيس.. حيث بقي ريسيبتُور الباطل في قلبه يحذره على الدوام ويؤزُّه للهرب من كل فتنة، وصنف ولغ في الفتن وعاش فيها وعاث وانغلق كل ريسيبتور في قلبه كان ليحذره من الفتن لو بقي عاملاً؛ فصار يرى ما رضي به ضرورةً أو مُباحًا، ثم صار يراه هو الحق الذي لا مراء فيه؛ من أجله يضحي وفي سبيل نصره يقاتل!!

[5]

كُخّ

يولدُ الواحدُ منّا على فطرته سليمًا طاهر النفس؛ لكنه لا يعرف الشرّ والخير حتّى يعلمّه ذلك الكبارُ..

فهو يكون ملطّخًا بإخراجه، وتفوحُ منه رائحتُه لكنَّه لا يأنف ولا يتأفّف!! حتى تُظهر له أمُّه أن هذا الإخراج قذر، وتُعلّمه أن الإخراج (كُخّ) يجب أن يتحسّب له ويخبرها به.. فتنظفه وتطهره ثم تُدرّبه على أن: مكان القذر الكنيف، وليس لنا أن نلطخ به حياتنا ومسكننا!!

فواجب الدعوات والجماعات إذًا أن تحمل مسؤليتها في زرع كواشف تميز الباطل ومعرفة الجاهلية في نفوس أبنائها ومنسوبيها؛ حتى يكون الناس على حذر من نجس الباطل ودلس الانحراف.

ولكن مسؤولية زرع تلك الكواشف لا تنحصر في الكبار؛ بل على كل فردٍ منّا أن يتبيّن لنفسه وأن يحرص عليها من الزلل والانحراف وأن يُخلِصَ في تخليصِ نفسه.. فراوي الحديث - الذي تناولته عَبْرَ هذا الفصل - هو حذيفة بن اليمان رضي الله عنه؛ وقد عمل بهذا الحديث فقال: "كان الناسُ يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وأسأله عن الشر مخافة أن يُدركني" ولسانُ حاله يقول:

علمتُ الشرَّ لا للشَّرِّ لكن لِتَوقّيه.. ومن لا يعلمِ الخيرَ مِنِ الشرِّ يقعُ فِيهِ

﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال:٢٥].

بين وَعْدَين

يُمضِي المؤمنُ حياتَه: يَرجُو، ويَخشَى، ويُحِبّ!!

يرجُو وعدَ الله.. ويخشى وعِيدَ الله.. ويُحبّ اللهَ سبحانه ويعظّمه، ويسعى أن يكون هَوَاه وفقَ ما جاء به رَسُولُ الله.. صلّى اللهُ عليه وسلّم تسليمًا كثيرًا..

فما هو الوعدُ؟ وماذا يَقَرّ في قلوبنا منه؟ وإلى أين يقودنا تشبُّثُنا به أو الغلوُّ أو الإفراطُ فيه؟

لا ريبَ أنك تعرف -أخي القارئ- أن الوعدَ وعدان: وعدُ دنيا، ووعدُ آخرة.. فأمّا وعدُ الآخرة: فمغفرةٌ، وجنةٌ وما فيها من الأجر العظيم والخلودِ في النعيم المقيم.. وأمّا وعدُ الدنيا: فالتَّمكينُ؛ من بعد شفاءِ الصُّدورِ منَ الطُّغاة والظالمين.

وفي كل شأنٍ من شؤون الناس نرى طَرَفين وَوَسط؛ فالطرفان: إفراطٌ وتفريط، والوسطُ: هو صراطُ اللهِ المستقيم الذي تمثّل كاملاً عمليًا في هَدي رسوله صلى الله عليه وسلّم.

ولنَرَ معًا بعض المشاهد من واقع الحركة الإسلامية لازمَتْنا سِنِينَ..

ثم نَنظرُ فيها وفيما تركَتْهُ من انطباعاتٍ وما كَشَفَتْهُ من غَاياتٍ وما أبرَزَتْه من حقائق وبَرَاهِين..

[1]
الأستاذ

ليلة السابع والعشرين من رمضان.. جَوُّ المسجد لطيفٌ رغم لسعةِ البرد بالخارج.. الفرشُ فَخْمٌ.. النورُ مُطفَأ.. غالب المصَلِّين يافِعُون لم يَشُبُّوا عن الطوقِ بعد.. يُصلِّي بنا [الأستاذ] حَسَنُ الصوتِ مزاميرُه نَدِيَّة.. يطيرُ بنا في خيالاتِ نعيم الجنّة، ويغورُ بنا في كوابيس عذاب النار، ويحكي [الأستاذ] أمجادَ الأوائل من كتاب الله الحكيم، ويبكي في كُلِّ ذلك فينفجر بُكاؤنا يتردَّدُ صداه في أجواء المسجد!!

وفي الاستراحة لامنا [الأستاذ] الآخرُ على البكاءِ ونَصَحَنا بالحرصِ على إخفاءِ العمل وحذَّرنا من الرِّياء والتصنُّع!!

[2]
سيّدنا

ليلة سابع وعشرين أخرى!! مسجدٌ في منطقة شعبيّة.. الاعتكافُ مزدحِمٌ بالقادمين من شتّى المحافظات.. الجو باردٌ جدًّا ولا تدفئة في المسجد.. الطعامُ الرَّدِيءُ يلعبُ في أمعائنا لَعِبَ القِطِّ المُشاكِس بكُرَةِ الصُّوف.. صوت [سيّدنا] أجشٌّ لا مزامير ولا تجويد فيه؛ والناس بين خاشعٍ ومتخَشِّعٍ يتأمل طريقةَ التلاوةِ بالتدبُّر محاولاً الفهمَ والاندماج.. يقف [سيدنا] بثباتٍ عند آيات الرَّحمةِ يرجُو وعند آياتِ العذاب يستجير.. فلمّا تلا ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [النور:٥٥] علَت نهناتٌ غير معهودةٍ في صوته.. ثم تهدَّج وعجز عن إكمال التلاوة وانهار يبكي.. وارتجّ المسجدُ بالنحيب!!

فلما انقضت الصلاةُ.. جلس الناسُ يتذاكرون ما هُم فيه من عناءٍ ويرجُون من اللهِ التمكين!!

[3]

مولانا

يتسابق الإخوةُ إلى مسجدِ "كذا" منذ صلاة الفجر!! إذ علموا أن "مولانا الشيخ" قادمٌ إلى مدينتنا ليخطب الجمعة.. مُلتحون وغير ملتحين يتوافدون بغزارة.. منتقبات وغير منتقبات.. المسجدُ فاض بالمصلّين وامتلأت الشوارع.. بينما آوت مدرسةٌ قريبةٌ النساءَ من شدّة الحرّ والزحام.. كل هذا والشيخ لم يظهر بعد.. ثم ظهر وسط حراسة من الإخوة يحمونه من تدافع الناس وانقضاضهم عليه.. خُطبةٌ رنّانةٌ.. فتَحَتْ مغاليق العيون مع كل كلمة تُلقى.. وفجَّرَت زفرات الصدور مع كل آية تُتلَى.. وهزّت نفوسَ الناس هَزًّا حتى تجد المنصرفين من الصلاة مضطربي النظراتِ مُحْمَرِي الأنوف والمآقي!!

عن ماذا كانت الخُطبة؟؟!! هكذا سألتُ الكثيرين فلم أجد أحدًا يذكر عن مضمون الخطبة إلا أنها كانت "تذكيرًا بالآخرة ولومًا على التقصير في الطاعات وارتكاب المعاصي"!! بينما كانت الخطبة كلها في "لومِ علماءِ بلدتنا على بعض ما وقعوا فيه من مخالفات" بنصّ كلام [مولانا الشيخ] نفسه!!

[4]

هل مَلَلْتَ أخي القارئ من حكاياتي؟؟!!

ربما!! لكن لا بأس.. لا تَضْجَرْ.. بَقِيَتْ حكايةٌ واحدةٌ قبل أن أبدِي لك مقالَتي، وأفصِح عن مكنون سطوري فتنظر ماهية هذه الحكايات!!

[5]

تقبّله اللهُ

منذ سبعة عشر عامًا كان يُصلّي بجواري كلّ صلاة.. نحيفًا جادًّا هادئًا.. لا يشتكي مما يشتكي منه الناس ولا يتذمّر.. في عينيه كلامٌ كثير، وحُزنٌ كبير، وشفقةٌ على كل أحدٍ غريبة، ومودّة لكل أحدٍ عجيبة!! أسمعُ لصدره أزيزًا وأحسُّ بجسدِه الضعيف يرتجّ بجواري على مدار التلاوة.. حتّى إنه لربما بَكَى عند: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ من الفاتحة في صلاة المغرب أو العشاء!! ولكن لا شكّ أن أكثر ما كان يؤثر فيه: ذكر الجنة والحور العين وجزاء الشهداء.. كان [تقبّله الله] دائمَ الصمتِ فإذا راقبتَه وجدته دائبَ العمل والبذل حريصًا على إخفاء ذلك والتفنُّن فيه.. أتى "معرضُ الكتاب" ولم يتيسَّر لِيَ السفر فتطوّع أن يحمل لي من القاهرة إلى الإسكندرية كتابًا من أحد عشر مجلدًا ولا يأخذ ثمنه حتّى يأتيني به!! وأثناء ما هوَ في القاهرة يحملُ كتابي حذّرني [سيدُنا] منه قائلاً: "يا بُنَي.. أنت ما زلت صغيرًا.. وهذا الأخ متطرّف الفِكر.. وأنت [مُستهدَف] ليجريَ تجنيدُك لفِكره وبرمجتِك على طريقته وضمُّك إلى أميرِه وجماعتِه"!! فلمّا أتى [تقبّله اللهُ] أخذتُ منه الكتاب على الباب ولم أدعُهُ للدخول.. فمَضَى حزينًا ولم أرَه من يومها!! أخي تقبّلَكَ الله!! تقبّل اعتذاري!! فقد آمنتُ اليومَ أني كنتُ مستهدفًا تجري برمجتي بالفعل!! لكن لم تكُن أنتَ الجاني!!

[6]

القرآن.. وآمالنا وأحزاننا

ها نحنُ قد فرغنا من الأقاصيص، فتعالَ -أخي القارئ- نقرأ ما بين سطورها..

وفيما بين سطورها: بيانُ نفسيَّةِ أشهر الفِرَق على الساحةِ الحركية الإسلامية، وآمالُ القائدِ والفردِ منهم التي يجيش بها صدرُه فتخرج في زفرات مهمومٍ وأنّاتِ مخمومٍ؛ تُبدي ما لم يعُد غَيْبًا بل صار شهادةً، يُحسِنُ قراءتها من يُحسِن، وتغيب حقيقتُها عمَّن تغيب..

إن القرآن يهزّ النفوس فيستخرج مكنونَ ما فيها.. وكلٌّ مِنَّا ينفعلُ مع القرآن عند أكثر ما يُهِمُّه ويَقُضُّ مضجعَه من هموم الدنيا أو الآخرة..

فأنت تكون مهمومًا بدَينٍ أو فقرٍ؛ فتدمعُ عيناك طمعًا فيما عند الله إذا سمعت قوله تعالى: ﴿ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾ [الطلاق:٣]..

وربما عُدتَ من عملِك في ضيقٍ من تمييز زميلٍ لك عليك؛ فدخلت في صلاة مغرب أو عشاء فسمعت قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ ﴾ [الرعد:٢٦] فانتبهتَ لوجوب التسليم لقدر الله فاستغفرت وتمتمت قائلاً: "ونعم بالله"..

وربما مَضَيتَ -أخي القارئ- هائمًا على وجهك مظلومًا وقد أكل فلانٌ أو عِلانٌ حقَّك أو اغتصبَ مالَك أو مِلكَك؛ فدخلت المسجد تُصلّي فرطّب قولُ الله ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴾ [الفجر:١٤] على قلبِك إذ أعلَمَكَ أن هناك حَكَمًا عدلاً.. فبكيت شوقًا للقصاص العادل عند مَن لا يغفل ولا ينام.

وكثيرًا ما تكون في ضيق يَلوَ ضيق وأزمة تلو أزمة فيهفو قلبُك شوقًا تكادُ تطيرُ به جوانِحُك إذا ذكّرك صديقٌ بقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا

﴿٦﴾ [الشرح] فأمنتَ على قوله وقد انفرجَت أساريرُك قائلاً: "لن يغلب عسرٌ يُسْرَين"..

لن أستفيض فيمن تمسّ ذنوبُه قلبَه فيكاد ينصدع بُكاءً نادمًا ويعلو نحيبُه عندما يتلو الإمامُ في صلاة القيام سورة "يوسف" أو يأتي على ذكر قوم "لوطٍ" عليهما السلام، أو الذي يذكرُ عقوقَه والديه وقد ماتا عند قوله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣]!!

ولن أقف كثيرًا عند أخٍ كان ملتزمًا فانتكس، ولمّا جذبته لِمّةُ مَلَكٍ إلى المسجدِ من جديدٍ؛ سمع الإمام يُرتّلُ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف:١٧٥] فكاد يموت هلعًا وخرّ تائبًا مُنيبًا!!

الأمثلة في هذا البابِ كثيرةٌ واضحة لا لبس فيها؛ تنبّئنا أنه وراء كل انفعالٍ مع القرآن قصّةٌ وحكايةٌ: فيها الأملُ، والرجاءُ، والشّوق، أو فيها: الندمُ، والخوفُ، وحريقُ القلب.. وربّما اختلطَ كلُّ ذلك في قصةٍ، أو حَوَت حكايةٌ بعضًا من هذا وذاك!! وكلٌّ يبكي على ليلاه!!

وكلٌّ يدّعِي وَصْلاً بلَيْلَى ** ولَيْلَى لا تُقرُّ لهم بذاكا!!

صحيحٌ أنه لا ينفعل مع القرآن إلا من كان في قلبِه حياةٌ.. لكن من قال إن كل الحَيوَاتِ تتساوى، أو أن كل الأحياء على الصِّراطِ المستقيم!!

[7]

ليس غيبًا ما بَدَا في الدّموع

إن عقودًا من قمع العسكر الذي نشأت تحت وطأته الحركةُ الإسلاميةُ الحديثةُ -إذا استثنينا النشأةَ الأولى لجماعة الإخوان في الحقبة الملكية الليبرالية؛ لأنها أعادت نشأتها بصورة جديدة تمامًا في حكم العسكر- إن تلك العقود كَتَمَت الكلمات في صدور الخطباء، وأغرقت الحروفَ في حِبر أقلام الكُتّاب..

فبعد: القمعِ، والسكوتِ، والخوفِ، والحذرِ، وإبداءِ خلاف ما يعتقدون -أو هكذا قالوا- بزعم الخوفِ على دَعَواتهم أو الحفاظ على كياناتهم.. لم يَعُد عندنا كثير شيءٍ نحلِّل به طموحات وغايات قيادات تلك الفترة -الذين بقي لنا منهم الكثير- إلاّ انفعالاتهم في المواقف ولو من دُون كلمات.. فالموقف يُبدي ما أخفاه الكلام.. والماءُ يكذِّبُ الغطّاس!!

ولأن كل تلك القيادات أدمنت القرآنَ تلاوةً وتأويلاً؛ فإن لدى كلّ منا رصيدًا كبيرًا من انفعال تلك القيادات مع القرآن.. إذا راجَعَه فهم باستقرائِه غايات من اتَّبعهم سنين وأطاعهم وانتهج نهجهم.. فإن البكاء ليس دليلاً على "الخشية" وحدها؛ بل دليلٌ على الشوق للغايات وتفضيل بعضها على بعض..

فماذا كانت الغايات المدفونة في قرار النفوسِ -لا التي يُعلَن عنها- إذ استخرجها القرآنُ فصارت شهادةً يقرؤها من يُجيد لغتها بعد أن كانت غيبًا لا يطّلع عليه إلا الله؟؟!!

إن المؤمن في سعيه بهذه الحياة بين وعدَين.. وعد الآخرة ووعد الدنيا.. فربما غلب على نفسه وعدُ الدنيا فحلّ كل محلّ في قلبه وحَرَفَهُ عن طلب وعدِ الآخرة زمانًا أو على الدوام.. وكذلك ربما غلب على نفسه وعدُ الآخرة فأعماه

عن المطلوب من الدنيا والمرغوب وربما أعماه عن الواجب!! والسعيدُ من رزقه الله عَدْلَ العِدْلَين على ظهره فسار بهما في طريقه معتدِلَين لا يعلو أحدُهما على الآخر فيميل شقُّه إليه ويقع!!

[8]

إنّما الثمارُ من البذور

فأمّا [الأستاذ] فأراد أن يحقق التوازن بين تشوُّفِ الآخرةِ وطموحِ الدنيا؛ لكنه سلك مسلكًا مُنحَرفًا عن عمدٍ.. ألا وهو دفعُ أشباله عن تشوُّف الآخرة وربطهم بالإنجاز والتقدُّم في الدنيا، فجمُدَت مشاعرهم وضَعُف داعي الآخرة في قلوبهم.. وصاروا في النهاية أقرب لموظّفين في كيانٍ إداري يعملون وفق أوامر محدّدة بلا كثير تفكير أو مراجعة نفس..

وكانوا أنسبَ الناس بعد ذلك لتصنيف "التكنوقراط الصَّحَوِيّ"، وأكثرَ من على الساحة تمثيلا لـ"عَمَلِيَّةٍ بلا روح"، وأجرَأهم على فتاوى "الموازِلات" (موازنات/ تنازلات) دون خوفٍ أو وجلٍ، وأقدرَهم كذلك على عقد التحالف تلو التحالف مع قُوى الظلامِ الجاهليّ للوصول لغاية نبيلةٍ ولكن بوسيلة خسيسة!! كل ذلك لنشأتهم السالفة على التهوين من شأن أمر الآخرة خوفِه ورجائِه وما إليه من غيبيّات..

وأمّا [سيدنا]: فأنكر على [الأستاذ] أسلوبَه، وقَلَى طريقته، وأراد مزيدَ توجُّهٍ إلى الآخرة.. لكنه تأذّى نفسيًّا بشدّة في أول حياته من جُندِ الطاغوت، أو خاف خوفًا شنيعًا من الوقوع بين براثنهم.. وكان عنيدًا غير منكسرٍ.. فغلب على قلبِه حبُّ الانتصارِ والعلوّ ودخل الشيطانُ عليه من باب "العمل للتمكين"؛ فسَلَكَ به مسالك السَّلامة وبعض الخضوعِ من أجل صيانة "الدعوة"!! فنسي كثيرًا من طلب الشهادة بالفِداء ونسي أنه ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران:١٩٨].. فكان ما وقع فيه غافلاً أولاً: مفتاحَ فتنةٍ كبيرة سار فيها على بصيرة منها ورضيَ عنها بعد أن كان غافلاً.. لأن غلبةَ شعوره الداخليّ بحب "الانتصار"

على حبِّ "الشهادة" أوقعه في الانحراف من أجل "تمكينٍ مُتوهَم" ليس إلا سراب.. وكلُّ إناءٍ بما فيه ينضح..

ولو كان على هُدىً لعلم أن أولى علاماتِ التمكين هلاكُ الظالمين: إما على يد أهل الحق وهو أوقع في العلوّ وأشفى للصدور ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ [آل عمران:١٥٢]، أو بمحض مِنَّةٍ من الله وفضل دون كسبٍ من أهل الحق كما في قصّة موسى عليه السلام ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة:٥٠] وكما في حالة "ثورة 25 يناير" التي نجى بعدها [سيدنا] وأتباعُه دون كسبٍ ولا عمل.. بل لقد كانوا يُحرّمون على من أراد المشاركة في فرقِ البحرِ أن يمدَّ يده أو لسانه أو حتّى كيبوردَه!!

أما بقاءُ الظالمين مع معارضة [سيدنا] للقصاص منهم ودعوته للتعامل مع شرفائهم -أوفهم شريف؟؟!!- فأولى علامات أن التمكين المزعوم ﴿ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً ﴾ [النور: ٣٩]!!

وعلى صعيدٍ آخر.. فنحنُ حين نتأمّل في حال [تقبّله الله] نجده غير مكترث بشأن الدنيا، وهو في الغالب غير مكترث بتأسيس قواعد صلبة يرتكنُ عليها الحقُّ فيها!! يسعى فيها متخفّفًا منها يحدُوه الأملُ فيما يحب من نعيم الآخرة وحُسن جزائها.. يترك أهله وماله وربما هجر عياله ليمضي في الفيافي يطلب: طلقة تخترق صدره فتطلّقه من الدنيا، أو قذيفة تقذفه إلى طريق الجنة، وربما تمكّن من الحصول على حزامٍ ناسف ينسف به ذنوبه!!!

لا شك أنه: يترك أعزّ المحبوبات، ويدفع أغلى الأثمان، ويضحّي أعلى التضحيات؛ فمن أجود ممن جاد بدمه ونفسه..

لو لا المشقة ساد الناسُ كلهم ** الجودُ يُفقِرُ والإقدامُ قتّالُ

لكنه كثيرًا ما يغفل عن تأسيس الدفاع وينغمس في الهجوم؛ وهو على كل حال آثر الباقية على الفانية.. لكنه نسي أن من واجبات الآخرة حِفظ الفانية للباقين فيها من أهل الحقِّ بعده إلى حين!!

فتجده [تقبّله الله] أشد الناس في الحق لانتفاء تعلق قلبه بأي مصلحة أو أجر دنيوي، وتجده أمثل الناس بلاءً في الكفاح وأثبتهم عند المواجهة، وأكثرهم حساسية للفتنة إذا أقبلت، وأبعدهم عنها إذا عمّت، وأشدّهم في تحذير الناس منها.. لكنه كثيرًا ما قصّر في طلب أدوات المواجهة الفِكرية والأكاديمية واهتم بتنمية مهارات المواجهة القتالية لإيمانه أنها أقصر الطُّرُق إلى دار النعيم..

مَلُولٌ هوَ.. ضائقٌ ذرعًا بالباطل وأهله.. ظاهرٌ على عدوّه كالشمس في كبدِ نهارٍ صائِفٍ ساعة الزوال.. مفاصلٌ لجاهلية الجُهّلاءِ كما يفاصل الزيتُ الماءَ.. لكنه لا يترك كثيرًا لمن بعده إلاّ حسرتهم أنهم لم يلحقوا به حيث استقر في القناديل مع الطير الخُضر!!

[9]

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ﴾ [سبأ:٤٦] .

بالطبع لم أبنِ أحكامي على مشهدٍ واحدٍ شَهِدْته، ولا حالةٍ واحدةٍ صحبتُها -كما قد يُردّد ضميرُك ليصرفك عمَّا كتبتُ!!- لكنني أوردتُ اختصارًا مثالاً واحدًا عامًّا عَلَمًا على كل فئةٍ أردتُ الإشارة إليها من فئات الناس إذ ينفعلون مع القرآن عند ذِكر اللهِ فيه لما يطمحون ويأملون ويرجون..

لا أدّعي أن هذه المشاهدَ قوالبُ دائمةٌ.. بل إن أربابها يتبادلون الأدوار في بعض الأحيان، وقد يصدر من كل منهم -نادرًا- ما يتفوق فيه على صاحب المشهد الآخر في صميم ما اتّسم به.. لكنني في النهاية أرى أن لكل فئة سمتُها الذي وصفتُ وأنه صار عليها علمًا.. فـ[الأستاذ] هو سمتٌ عامٌّ في منسوبي "جماعة الإخوان المسلمين"، و[سيدنا] علامةٌ على "سلفية الإسكندرية"، و[مولانا] هو النمطُ الأشهر من "سلفية الأقاليم" والقاهرة من باب أولى، وأما [تقبّله اللهُ] فهو نمطُ "السّلفية الجهادية"..

هذه أشهر الشخصيات أو القوالب الموجودة على الساحة الحركية الإسلامية.. كل واحدٍ منهم قاده انفعالُ وجدانِهِ بأحد الوَعدَين أكثر من الآخر إلى ما صار عليه من قالَبٍ؛ نراه بخيره وشرّه ونرى ثماره بحلوها ومُرّها..

والماءُ قد كذّب الغطّاس وانتهى!! فَدَعَاوَى عقود طويلة كشفها اختبار الواقع في 25 يناير وما أتى بعدها من أحداث.. فـ"الإخوانيُّ" يبني لنا اليوم "دولة مدنية بنكهة الإسلام"؛ نكهَتُهُ فحسب!! ليست حامية وطيس الجهادِ ولا عالية الكعبِ في نشر العلم. و"السلفي السّكندري" لمّا التمعَ له "سرابُ التمكين" ترك سابق عهده وانخلع من جذوره لِيَدَمَقْرَط!! فلا ستبقى له الكراسي، ولن تستقبله المساجد إذا عاد إليها نائبًا سابقًا بعد أن كانت قد استقبلته شيخًا وإمامًا،

و"السلفيون الإقليميون والقاهريون" أصاب أغلبهم الرُّعبُ من مَرَارة تجربة السياسة وعادوا إلى المساجد يُغلِقُونها عليهم أو السحب من راح منهم مع التَّيارِ يعيب هذا من طالبي الصناديق تارة لسببٍ يُعلِنُه ثم يغفلِ عنه مع آخر فيؤيده ولا يشترط عليه، وأما "السلفية الجهادية" فانبهر منهم نفرٌ غير قليل بالتجربة الديموقراطية وخاضوا فيها فأصبحوا لا إلى الإخوان ولا إلى السلفية ولا إلى سابق مفاصلتهم للجاهلية؛ ومن بقي منهم لا يجد كيانا يحتويه فيأرز إليه ليبني قوةً طالما حلم بها ليصل بها إلى ما يراه تمكينًا حقيقيًا على الأرض بعزّ حرّ السلاح لا بغيره.

ولو نظرنا للواجب أن يجتمع في شخصية متكاملة: فإن الجودة الإدارية للإخوان عنصرٌ مهمٌ في شمول الإسلام لكن يكبلهم ما يزعمون أنه فقه الواقع. ونظام الدراسة الشرعية عند سلفية الإسكندرية أساسٌ لبناء الشخصية، لكن توظيفه في فقه المصالح المتوهَّمَةِ والمفاسدِ الوَسوَاسِيَّةِ وتقديس الرموز يفرغه من فائدته ويُشوّه نتاجَه. وإن الاجتهاد في النوافلِ وترقيق القلوب من أميز ما في سلفية الأقاليم لكن غيابهم عن تصور الواقع تصورًا سليمًا ورغبتهم عن الاشتباك في معترك النضالِ الصّعب تحيّدهم وتجعلهم أقرب إلى المتصوّفة عمليًا. وإن طيران فؤاد السلفية الجهادية شوقًا للشهادة يُعميهم عن وجوب العمل المؤسسي وإعادة بناء أمجاد الأمة ومرافقها التي لم ينطلق "نور الدين محمود" ومن قبله أبوه "عماد الدين" ومن بعده تلميذه "صلاح الدين" للجهاد إلا بناءً عليها!!!

لابد أن يخلع كل منتسبٍ منظار تفوُّق ما ينتسب إليه: ليرى الخلل، ويستقي من مواطن النجاح أجمل ما فيها ويترك سيِئها!!! فإن مجد الأمة لا يقوم على منهاج النبوة حتى يكون الشمول هو طابع صالحي ذلك المجد.. فلا أقول أن تتقارب الأفكار بين أجنحة الحركة الإسلامية.. لا!!! لا دعوة للتقارب الفكريّ

هنا!! بل أقول أن تتكامل الأفعال.. ولن تتكامل الأفعال حتى يرى كل واحدٍ خلل نفسه ويأخذ أحسن ما عند غيره ويُجوّد أحسن ما عنده..

لا أقول إنه لا خير في هذه الأنماط.. ولا أقول إنها تخلو من القصور!! بل أقول إن انشغال كل نمطٍ منهم بأحد الوعدين أدَّى لافتراقه عن شمول الإسلام وعنفوانه وتكامُلِه. وإن التحيز عن الشمول هو الذي أضعف ثمار الحركة الإسلامية التي تكاد تجرفها السياسة من نفوس الناس اليوم إلا برحمة الله وقضائه أن دينه باقٍ وإن غفل عن صيانته الحُرّاس..

لقد كان الرُسلُ، وأصحابُهم، ومن سار على رسمهم الأول: لا يميلون عن وعدٍ إلى وعد!! ولا يغفلون عن بناء الدنيا للآخرة.. ولا يَذْهَلُون عن طلب الآخرة بحبِّ التمكين في الدنيا!!

كانوا كميزان الذهب ينبغي ألا يحيد ولا يميد ليزن صوابًا، ولا يبخس البائع ماله ولا المشتري ذهبه!!

وإنني أرى ألَّا نهضة حقيقة تحت راية الإسلام إلا عندما نعمل لدنيانا كأننا نعيش أبدًا، ونعمل لآخرتنا كأننا نموت الآن قبل أن تُكمِل أخي قراءة هذه السطور!!

إن التكامل في وجدان المؤمنين ألا يَذهَلُوا عن وعد إلى وعد.. بل أن يكون في قرارة نفوسهم شبعٌ من تشوُّف الوَعْدَين والرغبة فيهما معا فيطلبوهما معا: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة:٢٠١]..

وإن الله تعالى أمر نبيَّه صلى الله عليه وسلم بالصبر على ما أمره دون أن يحيد عن طلب أحد الوعدين وأخبره أنه سبحانه سيعطيه كلَيْهما أو أحدهما لا محالة: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ

﴿ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ [غافر:٧٧].. فإمّا أن نريك آيةً فيمن ظلمك ونمكن لك، أو نقبضك إلينا فتنال نعيمنا الأبدي المقيم.

ولابد لكل واحدٍ منا أن يُراقب قلبه وعقله.. أحَادَ عن تشوُّفِ أحد الوعدين إلى الآخر أم لا يزال على الصراطِ المستقيم.. وإنما علينا الصبر على طلب الوعدين معًا، كما أمر الله نبيه في آية جمع له فيها الوعدين في لفظة "وعدٍ واحد" فقال:

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم:٦٠]..

وختامًا.. فربما وافقَتْ كلماتي قلبًا نادِيًا فانتقَعَ، أو أصابت قلبًا غاليًا فامتنع، أو راحت هباءً ما زاد على أن قُرئَ وسُمِعَ!! لكن ليعلم كل قارئٍ أنه ما طار طيرٌ في السما عاليا إلا كما ارتفع وقعَ!! والسلام على من وَعَى!!

أسْطُورةُ العَنْكَلُوَظُ

تنبيه:

هذا الفصل ليس ساخِرًا..

بل يعرضُ كمَّ السُّخرِيَةَ في السُّخْرَةِ التي تنخُرنا!!

[1]

أساطير

تجلس "الغولة" على مفترق الطُّرُق بينما "الشاطر حسن" محتار أي الطريقين يختار!! ولولا أنّه بدأها بالسلام لأكلت منه اللّحم وقرقَشت العِظام!!

يركب الأميرُ "زعفران" الفارس الهُمام حِصانه الأبنُوس اللّي بيمشي من غير ما يدُوس!! عازمًا على تحرير الأميرة من "الأشْكِيف" الذي حَبَسَها في جزيرة!!

"رفعت إسماعيل" يكافح الذُبحة الصدرية بأقراص نيتروجلسرين التقليدية!! ليمنع مسوخ جانب النجوم من الاستحواذ على فتاة حَذّرُها معدوم!!

"أبو الدردار" يخرج من قبره في الإسكندرية ليتلقف القذيفة الإنجليزية في الحرب العالمية الثانية!! ويمنعها من الانفجار ثم يعود إلى ضريحه في أريحية!!

"العذراءُ" تتجلّى على الكنائس!!

و"روح القدس" حمامة تُرفرف تحيّةً لشنودة البائس!!

"الزُّومبي"!!

"النداهة"!!

"الشمّامة"!!

"أمّ سحلول" مرات الغول "بهلول"!!

"أبو رجل مسلوخة"!!

كل هذه أساطير عن غيلان وكائنات خرافية أو تجسُّدات مزعومة لشخوصٍ حقيقيّة مَضَت إلى أمر ربّها فلن تعود إلاّ يوم القيامة.. بينما "العَنْكَلُوظُ" هو كائن حقيقي وأسطورة مُتَجَسِّدة ورُعب مجسَّم!!

[2]

العَنْكَلُوظ.. حقيقةٌ لا خُرافة

ربما جلس بجانبك إنسانٌ تحت استحواذ جِنِيّ فلا تلحَظُهُ إذا كلَّمتَه!! لكنك بالتأكيد تلحظ العَنْكَلُوظَ حينَ تكلِّمه وتحاورَه!! فأنت تراهُ بعَينِ قَلْبِكَ وقد تحوَّرَت رأسُه إلى بُوقٍ كبير استهلَّكَ في تحوُّره مادَّةَ العَقل!! وترى على جانبِ البُوقِ إشارةً واضِحَةً لصانِعِهِ ومَكانِ الصُّنع.. لكن لا تعليمات لطريقة التخزين المثلى ولا كَيْفيَّةِ الغَسِيل!!

العَنْكَلُوظُ لا يُهاجِمك كالجاثوم في آخرِ اللَّيل، ولا يترصَّد لك في الظلام كمَلِك الجِنّ الأحمر، ولا يُحاول إثارة ذُعرك بصوتِ أنفاسِه إذا بِمتَّ في خَرِبَةٍ ما أو مكان مُنعَزِل!!

بل إن العَنْكَلُوظَ قد يُهاجمك وأنت بين زملائك في العمل برابِعَةِ النَّهار!! بل قد يفترسك وأنت في الطريق إلى عملك آمنًا مطمئنًا بين الناس في المواصلات العامة!! وقد يقتحم المشهد في فضائية ما أو حتى على "اليوتيوب"، ولربما وجدتَ سَجْعَهُ وهَذرَمَتَهُ على "ساوند كلاود" أو وجدت له تطبيقات على الـ"آبل ستور"!!

وأقول وبكل تأكيد أن العَنْكَلُوظَ هو الكائن الأسطوري الوحيد الذي يعلِّق على ما تكتبه على "فايس بوك" ويملأ صندوق رسائلك فيه من تعاويذه وتعازيمه ونفثِه!!

العَنْكَلُوظُ مَسْخٌ فاق كُلَّ المسوخ!!

العَنْكَلُوظُ مَسْخٌ فريدٌ لم يصنعه كاهنٌ بل صنعه شيخٌ بقميص أبيض أو زعيمٌ ببدلةٍ سوداء!! مَسْخٌ لم يستحوذ عليه شيطان جنّ بل إنس!! ولم ينفر من القرآن بل قد يحفَظه ويُحفِّظه!! ولم يهرب من المسجد بل قد يعتلي منبره ويؤمُّ

مُصلِّيه!! ولم ينزوِ عن النظافة بل قد يكون الأنقى ثوبًا والأبهى صورةً والأكثر نضارةً!! ولم ينفِر من ضوء الشمس بل قد يتظاهر في عزّ حرّها!!

العنكلوظُ مسخٌ بزّ كل المسوخ!! لا يقتله وتدُ الخشب، ولا يطرده الثوم، ولا يدفعه غسل أفواه الصغار وأياديهم قبل النوم، ولا يحميك من هجومه إلقاء السلام، ولا يمنعك من إجابة ندائه سدُّ الآذان؛ وإذا رقيته بالقرآن حوّله سلاحًا له!!

[3]

العَنْكَلُوظُ.. لماذا؟

وعلى نقيض حلاّل المشاكِل "أبي اليُسْر" اللّي بيظهر في ساعة العُسر [راجع أسطور الأشكيف].. فإن العَنْكَلُوظَ "يُدافع عن كل ما يبوظ": فهو يُبرِّرُ الخطايا فتستمرّ المشاكِل وتتفاقم!!

فأصل الكلمة نحتُها نحتًا من جمع بدايات ونهايات كلمات جملة أسطورته: "اليعنكلموظ يـ دافع عنـ كلـ مـ ا يبـ وظ" ولمّا كانت بدايتُه أنه يدافع عن كل ما يبوظ في جماعته وحزبه صار قرينًا للبَوَظَان وحليفا له فصار "بَايِظًا" في ذاتِهِ وكيلاً عن "المُتبَوِّظِين" في الدفاع عنهم و"عن كل ما يَبُوظ": فخفِّفتْ اسمه إلى الـ"عنـ كلـ يبـ وظ".. نعم إنه الـ"عَنْكَلُوظُ"!!

والعنكلوظُ اسمٌ عربيٌ أراه مناسبا للمسخ أتمَّ مناسبة، اشتققتُه بطريقة غربية هي: اختصار جملةٍ بنحتٍ من الأحرف الأولى والأخيرة، وحتمٌ لازمٌ أن يُسمى العَنْكَلُوظُ اسمًا عَرَبيًا بطريقة غربيّة!! لأن العَنْكَلُوظَ يتبع طريقة باطلة يريد قسرًا أن يُضفي عليها مسحةَ الإسلام أو الحق الإنساني!!

فهو عالمالي يدّعي أن هناك عالمانية جزئيّة تُبقيه مسلمًا، أو هو إسلاميٌّ يدّعي أن للإسلام قنطرةٌ مع العالمانية تُعينه على التعايش معها!!

ولأن طريقة تبرير الرَّزايا والآثام لا تمت للإسلام بِصلَة ولا تنفع في الإصلاح بِتَصبَلة!!

ومن سار على نهج الغرب في تبرير الرزية أوشك أن يُبرّر الكفر حذو القذّةِ بالقذّة.. بل قد فعلوا وبرَّروا الشِّرك حين كتب الزعماءُ "الياسق" الحديث فانبرى العَنْكَلايِظَةُ يُبرّرُون لهم!! وحق لمن سار على نهج الغرب مع الاحتفاظ بمسحّ إسلامي ألا يكون له في لغة العَرَب إلا الفضيحة العربية على نهجٍ غربيّ!! إنه العَنْكَلُوظُ الذي يدافع عن كل ما يَبُوظُ!!

[4]

مِبرّراتِي.. مِبرّراتِي

فالعَنْكَلُوظُ هو "المبرّراتي الآلي" فهو مسلوب الإرادة ولو ادَّعي الحريّة، برمجه سيِّدُهُ كي يُبرر له رزاياه وفق مصلحة سيّده وهَوَاه، ولو صدق العَنْكَلُوظُ مع نفسه لمشى في الطرقات عند الفجر كل يومٍ حسِيرًا وفي يده "طبلةٌ" ينقرُ عليها ويُنشِدُ:

[مِبرّراتي.. مِبرّراتي..

طَمْ.. طَمْ تَطَمْ.. طَمْ طَمْ..

مِبرّراتي.. مِبرّراتي..

داير أهاتي.. أكدِب يومااااتي..

طَمْ.. تطَمْ طَمْ طَمْ..

مِبرّراتي.. مِبرّراتي..

برّرت ذنبي وذنوب جَاراتِي..

علشان ضميري يسكُت يوّاتِي!!

أصلي مِطاطِي للّي صنَعنِي، لازم أطاااااطِي!!

طَمْ.. تطَمْ طَمْ طَمْ..

مِبرّراتي.. مِبرّراتي..

لو كنت فالِح لكُنت صلَّحتِ فـ حياتِي..

أو نصّ خايب ما كان لساني إلا لذااااتي..

طَمْ.. تطَمْ طَمْ طَمْ..

مِبرّراتي.. مِبرّراتي..

ذاتِي لغيري وغير إلهي: ضاااعِت نجاااااتِي!!

طَمْ.. تطَمْ طَمْ طَمْ..

مِبرّراتي.. مِبرّراتي..

قُولّي باطاطِي ما تقولشِي واطِي!!

أصلي مِطاطِي للّي صنعني، لازم أطاااااطِي!!

طَمْ.. تطَمْ طَمْ طَمْ..]

و"الميرّراتي" كما يتضِح هو نقيض "المسحَّراتي"!! لأن "المسحَّراتي" يوقِظُ الناس ليقوموا فيتعبَّدُوا بالسَّحُور، بينما "العَنكَلُوظُ المِبرِّراتي" يخدِّرهم حتى يأتي الجزَّار!!

وليس في دين الله تبرير خطأ؛ بل اعترافٌ بالخطأ ثم إصلاح!! وليس دون ذلك حقٌّ ولا حقيقة!!

[5]
العَنْكَلُوظْ.. وباءٌ عامٌ

فالعَنْكَلُوظُ لا يقتصرُ على تيارٍ دون تيارٍ ولا فِكرٍ دون فِكرٍ!!

- فإذا نشأ "البرادعي" في حضن أمريكا عمالةً وولاءً انبرى البوبِيُّون يُعَنكِلظون أن هذه ميزةٌ ليست عيبًا!! وإذا تطوّع شبابٌ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر نعتهم البوبِيُّون بالظلاميين المتطرفين، فإذا فعلوا هُم ذلك بفصل الرجال عن النساء في عربات المترو لمنع التحرُّش انطلقوا يُعَنكِلظون بأن هذا حقٌّ للنساء وصيانة لحقوقهن.. والبسي براحتك إحنا نِعَنْكَلْظِلك!!

أحرامٌ على بلابله النهيُ.. حلالُ العنكلوظِ من كل بُوبِّ!!

- وإذا وضع "حمدين" يده في يد غريمه "البرادعي" ضد الرئيس المنتخب حقدًا وغلاً وجريًا خلف الكراسي انبرى الحمضيُّون يُعَنكِلظون أن هذا من أجل مصر وشعبها!! وإذا خطب "مرسي" في المساجد قالوا إن هذا استغلال للدين، بينما إذا خطب "حمدين" في الكنائس انطلقوا يُعَنكِلظون بأن هذا حفاظٌ على اللُّحمة الوطنية!! تُرى أهذه "اللحمة" الوطنية رخيصة كاللحمة السودانية أم أغلى ثمنًا، وطازجةٌ هي أم مُجمَّدة؟؟!!

- وإذا جالس "برهامي" الفريق "شفيق" ليلة النتيجة انبرى السلفيون يُعَنكِلظون أنه كان يدعوه للإسلام ولحقن دماء المسلمين!! ويُعَنكِلظون أنه كان حفاظًا على تصدُّر الإسلاميين لو نجح الفلول!! فإذا ذكَّرتهم بموقفهم المهين المُشين من الثورة انطلقوا يُعَنكِلظون بأن هذا كان حفاظًا على عدم تصدُّر الإسلاميين لحماية البلاد والعباد من الفلول -أيام كان الفِلُّ غولاً قبل أن يصير فلولاً-!! هل التصدُّر حِلوٌ أم وِحِشٌ أيُّها العَنْكَلُوظُ؟ نسمع إجابته يقولُّك التصدُّر وِحِش!! تشوف فِعاله يقول: "التصدُّر حلو ما فيش كلام"؟؟!!

• وإذا غازل "مرسي" صديقه العظيم "بيريز" انبرى الإخوان يُعَنْكِلْظُون أن هذا "بروتوكولٌ واجب" -بينما هو خِزيٌ حرام-!! هل نسي العَنْكَلُوظِيُّون هتافاتهم التي ارتضعوها منذ الصِّغر: "خيبر خيبر يا يهود.. جيش محمد سوف يعود"؟ تُرى أكانوا يعنون حينها جيش نبينا "محمد" صلى الله عليه وسلم الذي من كان مثلهم استأصل شأفة اليهود أم جيش الرئيس "محمد" مرسي الذي يُفرقع سفيره كأسين مع "بيريز" -يُعَنْكِلْظُ العَنْكَلُوظِيُّون أنهما كأسين من سِفن أب- احتفالاً بتعيينه؟؟!!

• وإذا قصف "بشّار" المدنيين فهدم بناية على ساكنيها من نساءٍ وشيوخٍ وأطفال، انبرى المَتَخَبْكَجِيَّةُ يُعَنْكِلْظُون أنه كان على رأس البناية قناصٌ من الإرهابيين!! ويقول العَنْكَلُوظِيُّون أن الثوار أحدثوا فتنة وأنهم يسفكون الدم الحرام!! أحرامٌ دماء جُند "بشّار" حلال دماء الأطفال والنساء يا معشر العَنْكَلاَلِظَة؟؟!!

وتطول السيرة العَنْكَلُوظِيّة وتفني دونها زراير الكيبورد!! فالعنكلوظ قديمٌ في التاريخ، وباءٌ في الواقع يا معشر القرّاء!! لكن لأذكر نموذجًا قريبًا!! فقد كان الشيوعيُّون يُعَنْكِلْظُون لـ"جمال عبد الناصر" قَتْلَ الإخوان بهتافهم سنة 1954: "دبَّح دبَّح يا جمال.. لا رجعية ولا إخوان"، بينما من قبلهم بسنتين كان الإخوانُ أنفسُهم يُعَنْكِلْظُون لمجلس قيادة الثورة تدابيره الحاكمةَ للبلادِ ويَتَجَنَّدُون في خِدمته بدعوى "أخذ السبيل على الناكثين ودعاة الفتنة" وفق بيان نشرته مجلة الدعوة باسم "الهضيبي" بتاريخ 1952/7/29، على علمهم بأن "جمال" قائد الحركة الحقيقي وأنه انشق عنهم وبينهم وبينه خلافات منهجية كبيرة ظاهرة!! هل لي أن أحرّف "جزاء سِنِمَّار" إلى "جزاء عَنْكَلُوظَار"؟؟!!

[6]

كيف تصنع عَنْكَلُوظَكَ الخاص؟!

العنكلوظ كان بشريًا حُرًّا تعرّض لاستحواذ شيخٍ أو زعيم!! استحوذ عقل الشيخ أو الزعيم على عقل المريد أو المؤيد.. فتجد العَنْكَلُوظَ مسلوب الإرادة مبرمجًا كالروبوت لا ينطق إلا بما يُمليه عليه من حازَ عقلَه.. تمامًا كالذي تستحوذ عليه شياطين الجنّ!! جرّب أن تذكر سيد العَنْكَلُوظَ أو قبيلته بسوء لينتابه -فجأة- الصَّرَعُ الفِكريُّ، ويطير زبد الكلمات من شدقيه حارقًا صفحتك على الفايس أو خارقًا عِرضَك بين الناس، وربما لسعك مقالاً تشريحيًا في جريدة غير محترمة، كل هذا لا لشيء إلا أنك مسست ذات سيّده المقدّسة أو حزب سيده أو جماعته -و لو بالحق- في مشهد يذكّرك بهياج الممسوس إذا رقاه الرّاقي، فأحرق بعض من عليه من الجن إخوة المسْتحوذ عليه أو قبيلته!!

لقد تصيّد المستحوذ فريسته في: لحظة ضعف، أو في موطن احتياج، أو صادَها بِشَرَكِ مصلحة، أو أبرم معها حِلف هَوَى!! تصيّد البُسطاء فكريًا الباحثين عن زعيمٍ يُرشدهم الطريق!! أو المعقّدين ثقافيًا الباحثين عن يوتيوبيا لأيديولوجيتهم تحققها كاريزما ولو مصطنعة!!

تصيّد الباحثين عن أبٍ رحيم!! أو اقتنص الباحثين عن زعيمٍ مُلهَم!! أو أغرى الباحثين عن دَوْر!!

حشاهُم بالأكاذيب وتوجيهات الدُّجل من عينة: "حدّثوا الناس بفضائل الشيخ فلان".. أقنعهم بأن فئته هي الحق لا غير، مؤكّدًا أن: "الجماعة معصومة".. أفهمهم أنهم التقدُّميون في زمن الرجعية، قائلاً عن الأصوليين: "هؤلاء ظلاميون.. تعالَ حيث التنوير".. أفشلهم حتى سقطوا ونصح نصيحة غير أمين فقال: "ارسُب هذا العام من أجل العمل الدعوي/النضالي في كُلّيتك؛ لأنك الأكفأ وليس عندنا لك بديل"، عزلهم عن الناس مرتديًا ثوب الحِرص على

أفكارهم من التلوُّث آمرًا: "اترك العمل مع فلان؛ لأنه ليس أخًا/رفيقًا"، "لا تتزوَّج مَن غيرنا وإن كانت الأصلح؛ حتى لا يجرفك التيّار"، "ادرس العلوم الشرعية/الإنسانيات وعلم النفس والاجتماع فقط"..

ثم ضمَّهم إلى جنّته الموهومة يُعَنْكِلُظُ لهم ما فعله بهم لتكون العَنْكَلَظَةُ قناة دَجلٍ ذات اتّجاهين!! فعَنْكَلَظَ في مناسبات ضعف العَنْكَلُوظِ الجديد نفسيًّا ليدعمه ويثبّه على عَنْكَلُوظِيَّته قائلاً: "الرسوب كان لتنجو من راية الجيش الجاهلية/الجيش الإمبريالي" -ألم يدخل ابنك كلية عسكرية بعد الثورة يا شيخ؟- "تعال حقِّق كُتبي" -لو كنتَ شيخًا حقًّا لحقّقتها أنتَ، ولكنك لا تبدو على حقيقتك مع الأسف!!- "سأزكيك لدى الشيخ/الرفيق فلان لتنكح/لتتعرف ابنته وتنال الشرف" -لو آمنتَ أني كفؤٌ حقًّا ولستُ مجرّد عَنْكَلُوظ لما احتجت لرفع مكانتي!!- "اذهب فاستلم عملك لدى مركز الهُدى/أمريكيوس/جيفارا للدراسات" -لماذا لا أنشر باسمي بدلا من أن أنشر باسمك واسم مدير المركز؟!!- خليط متنوّع يستخدمه المستحوذون على اختلاف صُورِهِم، يترواح في صورته من مستحوذ لآخر، ويتباين من أيديولوجية لأخرى لكنه في النهاية أسلوب شياطين وكثيرًا ما يأتيك الشيطان واعظًا!!!

[7]

دفاعات عَنْكَلُوظِيَّة

العجيب أن "العَنْكَلُوظ" لا يُرقَى بالقرآن خلاف الذي استحوذ عليه شياطين الجنّ!! لأن سيّده تعلّم من تجربة الجن الذي يحترقون بالقرآن ويُطرَدُون من الأبدان!! فزرع مُناورًا دفاعيًا أوتوماتيكيًا قويًا هو: "جهاز تأويل" في عقل تابعه المُتعَنْكِلظ!! فإذا تلوتَ عليه القُرآن ترقيه من عَنْكَلُوظِيَّتِه: انحرف به عن معناه ووظّفه في صفِّ فهمه ودافع به عن جريمته!!

وكذا حديث النبي صلى الله عليه وسلم: فربما وجدت العَنْكَلُوظ يقول أن: معاداته للشريعة في صالح الشريعة!! أو أن معاداته للإسلام هي روح الإسلام!! وربما قال عن دفاعه عن ضباط أمن الدولة أو سبّابي الدين والأنبياء أو أعضاء المجلس العسكري والوزراء السابقين أو الشيخ الذي كان عميلاً لهم ومعارضته لمحاسبتهم: أنه من صميم سنة النبي صلى الله عليه وسلم!!

وربما وجدته مصمِّمًا على أن: الدفاع عن "شِلْهَام آهين"، أو نقل أخبار الاشتراكيين والليبراليين والجهاديين -الخصم عمومًا- لضبّاط المخابرات، أو مهادنة النائب العام والقُضاة، أو تدريب الشرطة الأفغانية -العميلة للاحتلال الأمريكي- في مصر: هو من فهم الصحابة للإسلام!!

كل عنكلوظٍ يتحامى في شيءٍ يراه الناس شريفًا.. فمنهم من ينتسب للدين، ومنهم من ينتسب للوطنية، وكل عنكلوظ في النهاية نسبته الحقيقية إلى مَن استحوذ عليه ليس إلا!!

أشياء لا تملك معها إلا أن تتعجب من قُدرة البشر على الاستحواذ على البشر وبرمجتهم، لتنطق ألسنتهم حمدًا وتسبيحًا وتقديسًا لبشر مثلهم، وبوحيٍ من عقول المستحوذين عليهم..

فلا تملك إلا أن تقول حينئذ: "سبحان الله الذي أخبرنا أن من البشر شياطين كما من الجنّ"!!

فهذا العنكلوطُ لا تنفعه رُقيا فِكر ولا نصيحة رشاد؛ لأن تبريرَ الذنب أشدُّ من الذنب، وتزيين الباطل هو أبطلُ الأباطيل!!

[8]

أنتي العَنْكَلُوظ

لن نحتاج حصان زعفران الأبنوس، ولا سلام الشاطِر حسَن، ولا تعاويذ رِفعت إسماعيل المضادَّة!! فكلُّ هذا لن ينفعنا!! لكن تِيمَةُ الأسطورة واحدة: فلابدّ من بطلٍ أسطوري موعودٍ يقضي على المسخ وصانعِه..

بل لابد من الـ"أنتي عنكلوظ".. فكما أن هناك "مضادّ حيوي anti-biotic" يُناهض فعل الكائنات الدقيقة الضارة في جسدك فالـ"العنكلوظ الذي يدافع عن كل ما يبوظ" له "مضادّ العنكلوظ anti-ankalozh"!! وهو الذي يناهض فعل الكائنات العنكلوظية في عقلك!!

وهذا الأنتي عنكلوظ هو "الغريبُ" الذي يُدافع عن الحق حتى لو خسر الجميع.. بل لقد لازمه وصف الغُربة لأنه يخسر الجميع بالفعل!! فإن العنكلوظية أو تبرير الإثم وباءٌ يستشري في المجتمع كوباء "الزومبي" الأسطوري؛ فيجتاح الناس بأصنافهم ليتحول المجتمع إلى مزرعة مسوخٍ كبيرة فيها بعض الأحياء يهربون هنا وهُناك!! وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهؤلاء الغُرباء الذين يُصلِحُون الفساد ولا يتلوَّنُون بلونه ولا يبرِّرونه ولا ينصرونه؛ بل هُم يحاربونه ويُصلِحُون فساد أثره فقال: « إنَّ الدِّينَ بدَأ غَريبًا ويَرجِعُ غَريبًا فطُوبَى للغُرَباءِ الذينَ يُصلِحونَ ما أفسَدَ الناسُ بعدي مِن سُنَّتي» [حديثٌ حَسَنٌ].

فليس من حَلٍّ للعنكلوظ في نظري إلا "الأنتي-عنكلوظ".. يدفعُ القرآنَ والسنةَ بجلالهما وصفائهما دون تأويل ومصلحة، يدفعهما في عروق فِكر العنكلوظ - على شتَّى أصنافه- دفع الدَّواء رويدًا رويدًا: يجادله بالتي هِي أحسن، ويصدِمُه بالتي هي أوضح وأبْيَن، وربما احتاج لعزل العنكلوظ عن المستحوذِ عليه، وكثيرا ما سيحتاج الغريبُ "الأنتي عنكلوظ" أن يعمل عمل الجرَّافة فيجرف رُكام

العنكلوظية بعيدًا عن البرآء وحديثي الاستشفاء.. وعلى "الأنتي" أن يكشف المستحوذ الشيطان ويحرق حصونه شيئًا فشيئًا!!

يفشل "الأنتي" بكل تأكيد إذا كان توافقيًا أو تعايشيًا أو ما شابه، لأن الاستحواذ ديكتاتورية لا تقبل التوافق ولا التعايش!! الاستحواذ لا يقبل إلا الامتلاك والاستعباد والسيطرة الكاملة، ولا يبرأ إلا بالثورة والجلاء الكامل والحرية الكاملة!! وهي الحرب لا غيرها، حتى ينكسر الاستحواذ، ويختنق الشيطان ويحترق، أو يُستشهد "الأنتي"!! فأي الناس أنت يا قارئ سطوري: مستحوذ!! عنْكَلُوظ!! أنتي!! أم توافقي توشك أن تتَعَنْكَلَظ؟!

في البلالا!!

"في البَلَالَا" بتفخيم الباء واللأمَيْن على غير عادة العَرَب!!

تُكتَب أصلاً هكذا: "في البلاله"؛ لكنَّ حرف "الهاء" صار نادرًا مُذ ملأت السُّخرية من مواقف الحركة الإسلامية صفحات الفايس بوك: "ههههههههههههههههه" فخُفِّفَتْ "في البلاله" إلى "في البلالا" لنقص موارد الحروف عن وصفِ ما نحنُ فيه؟؟!!

كُنَّا بعدُ أيام الانتخابات الرئاسية.. قبل أن يدخل "عمر سليمان" -حشرهُ اللهُ مع هامان- السباق ليخرج وفي يده "الشاطر" و"حازم".. وقد تجمَّد السلفيون حينها منتظرين قرار الدعوة السلفية من ستؤيد وأطلقوا حملة دعائية مضادَّة لردع أي منسوب للدعوة عن تأييد "حازم" تحديدًا!! وأسموا هذه الحملة: "منتظرون" أي منتظرين قرار الدعوة!! بينما أطلق الإخوان حملة دعائية باسم "شاطرون" نسبة لتأييد المهندس "خيرت الشاطر" وكل هذا لاحق للحملة التي كانت الجماهير الغفيرة التي تؤيد "حازم صلاح أبو إسماعيل" قد أطلقتها باسم "حازمون" وهي غير حركة "حازمون" الشبابية التي كانت ناشطة حينها في شؤون الحِراك السياسي الإسلامي..

وصارت الحربُ الكلاميةُ إسلامية-إسلامية بين أنصار الثلاثة مواقف!!

حينها.. ذكّرتني شتيمةٌ شَتمها لي أحدُ الـ"منتظرون" بموقِفٍ قديم كنت أمازح فيه واحدًا من أصدقائي وزملاء العمل والدراسة القُدامى!!

كُنَّا نتندَّر على ما وَصَل إليه حالُ كبرائنا في العمل فقلتُ له: يومًا ما سأنشرُ كتابًا بعنوان: "رجالٌ في البلالا" تكون فصولُه تراجم لكبارٍ حسبناهم أساتذتنا وسندنا، فإذا هم أساتذةُ شياطين الإنس وخُشُبٌ مُسنَّدة!! فكان صديقي يضحك ويقول سأشاركك تأليف هذا الكتاب، وخذ عندك فلانًا وفلانًا وفلانًا فضمِّنهم كتابك..

بالأمس البعيد كنت أناقش هذا الأخ "المنتظري" الذي صار بعد ذلك "شاطريًا" في السرّ لحين خروج قرار جماعته من السرداب؛ فدخل على خطّ النقاش كثيرون من "الحازمون".. فما كان من "المنتظريّ" بعد نفاد حُجّجِهِ وتهاويها إلا أن قال: "أنتم ناس في البلالا"!!

رنّت الكلمة في أذني ودارت في ذهني واستعادت ذاكرتي مشاهد التنكيت القديمة بيني وبين زميل العمل على هذه الكلمة "في البلالا"!!

ولكن الكلمة صارت علامة حقيقية على حال جماهير الحركيين الإسلاميين وانفعالهم تجاه قضية مرشّح الرئاسة: من نختار ولماذا؟ نعم صارت الكلمة إذ ذاك مختلفة الوقع ولها من الحقيقة وضع!!

فحقيقة الأمر أن "المنتظرين" و"الشاطرين" هم الأحق بوصفهم "في البلالا".. واصبر عليّ -أخي القارئ- فإني لستُ الآن أعيدُ الشتمةَ إلى مرسلها ولا أرد الصاع مثله ولا السوء إلى صاحبه!! ولكنّي تنبّهت لمعنىً كمُنَ في طيّ العبارة: "في البلالا"!!

تعالَ نقسمها سويًا إلى: بَلا + لَا!! "بَلا" بفتح الباء "من البَلاء"، و"لا" هي "لاء الرّفض": وحقيقةً فإن وجدان القوم قد تشبّع بفكرة أن رفض قرارات جماعاتهم ودعواتهم هو البَلَاء بعينه مهما رأى في انقياده من بلاءٍ ظاهر!! فيكون معنى العبارة الأول: "البَلاءُ في لَا"!! وهذا مُشَاهَدٌ في فَزَعِ القوم من مخالفة الشيوخ والقياديين وإن خالف الشيوخُ والقياديون الوَحْيَ المنزّل!!

وإذا قسمنا العبارة إلى: بِلا + لَا!! "بِلا" بكسر الباء يعني "بدون"، و"لا" هي "لاء الرّفض" أيضًا: وأنت أيها القارئ إذا نظرتَ وجدتَ أن القوم من مُنتَظِرِيّةٍ وشَاطِرِيّةٍ قد غيّبوا كلمة "لا" من قاموسهم مع قادتهم ومشايخهم، وكذا قادتهم ومشايخهم غيّبوها من قاموس تعاملهم مع العسكر ومع الغرب مع التدقيق!! ورُغم أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يرُدُّون على رسول الله صلى

الله عليه وسلّم في اجتهاده الذي لا وحي فيه؛ فإن "البلالايّين" لا يردُّون على مشايخهم وقادتهم اجتهادهم!!

وعلى ذلك فإن "المنتظرين" و"الشاطرين" هم الذين "في البلالا" بنوعيها بالفتح والكسر.. إنهم "البلالايّون"!!

ولن أخوض في معاني "في البُلالا" بضمّ الباء لأنّه اسم قبيلة تشادية معروفة؛ وإن كانت لم تَسْلَم هذه القبيلة من معنى ما أقصده في هذا الفصل أيضًا.. فهم تارةً يَنسِبُون أنفسهم للعرب وتارة يَنْتَسِبُون للأفارقة.. فهم أيضًا "في البلالا" لا انتماء لهم ولا هوية؟؟!!

ولا أدري أين يذهب من "في البلالا" بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: « لا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا » [صحيح موقوفًا على بن مسعود رضي الله عنه]!! هل بعد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم!! ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:٣٦]..

هل صرنا في زمان أحتاجُ فيه إلى أن أقنعك بقول عالم أو قائد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم!!

هل أنا في حاجة إلى أن أقول يا من كنتم منتظرين: هذا الشيخ المقدم كان قد قال: "من حقّكم أن تثوروا علينا" [2011/3/13، درس: نقطة ومن أول السطر]، وهذا الشيخ سعيد عبد العظيم كان قد قال: "انصحُوا علماءكم" [2012/2/10: خطبة الجمعة] وهذا الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق قد قال عن التشطُّر على الحازمين: "وأقول لكل من ينوي التصويت للمهندس خيرت الشاطر الذي دُفع به إلى الترشيح في صفقة الغدر هذه الخاسرة، لا يحل لكم ذلك واعلموا أن الله

يقول ﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء:٨٥] " [2012/4/1: بيان إلى فضيلة المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين]!!

أم هل أنا في حاجة إلى أن أقول أيها الشاطرون هذا البنا قال قبل 60 سنة: "وإن الأمة إذا تَرَضَّت مَوْلاها، ولجأت إلى بارئها، وتولَّت ربَّها أعانها على غيرها، ودفع عنها شر عدوها ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب:٢٥]. وإذا آثرت مرضاة الخلق على الحقِّ، وتملَّقت سواها بالبذلِ والتَّقليدِ، وَكَلَها الله نَفسَها، وتَرَكَ إليها أمرَ حمايتها، فتكون عاجزةً في قوَّتها، مغلوبةً على أمرها" [مذكرات الدعوة والداعية].

وهذا سيد قطب قال قبل 50 سنة: "من الصعب عليَّ أن أتصوَّر كيف يمكن أن نصل إلى غايةٍ نبيلةٍ باستخدام وسيلة خسيسة؟! إن الغاية النبيلة لا تحيا إلا في قلبٍ نبيلٍ: فكيف يمكن لذلك القلب أن يطيق استخدام وسيلة خسيسة؟ بل كيف يهتدي إلى استخدام هذه الوسيلة؟! حين نخوض إلى الشط الممرَّغ بركة من الوحل لابد أن نصل إلى الشط ملوثين.. إن أوحال الطريق ستترك آثارها على أقدامنا وعلى مواضع هذه الأقدام، كذلك الحال حين نستخدم وسيلة خسيسة: إن الدنس سيعلق بأرواحنا، وسيترك آثاره في هذه الأرواح، وفي الغاية التى وصلنا إليها! إن الوسيلة في حساب الروح جزء من الغاية، ففى عالم الروح لا توجد هذه الفوارق والتقسيمات!" [أفراح الروح]!!

أم أن البلالايُون = "الشَّاطرون والمنتظرون" يعصون هؤلاء الذين ذكرتُ؛ كما أنهم يعصون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ إن الحقيقة أن هناك مراكز قوى تستأثرُ بالقرار داخل الجماعات وتستخدم العاطفة لدى المنتمين وسُلطة الإفتاءِ وهيبة العِلمِ في سَوْقِ هؤلاء المنتمين إلى حيث يريدُ أحلافُ مراكز

القوى تلك من عسكر أو غربيين.. وحقيقةً لا حاجة لي فيمن احتاج لقول أحد بعد قول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم!!

إن الوحيد من البشر الذي نعامله بِلا "لا" هو رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وبهذا امتُدح أبو بكر في عتقه بلالاً الحبشي رضي الله عنه!!

أبو بكــر حَــبَا في الله مالا ** وأعــتق في محــبته بــلَالَا

وقد وَاسَى النبيَّ بكل فضلٍ ** وأسرع في إجابته بِلَا: "لَا"

ففرقٌ بين من يُطيع الله ورسوله حاذفًا كلمة "لا" من قاموس طاعته تلك، وبين من يحذف "لا" من قاموس تعامله مع رجالٍ أيًّا كانوا أهل فضل أو عديميه.

وإن الذين يتشدّقون بأنهم: "لا يُوقِّعون على بياضٍ لأحد" -وهم الدعوة السلفية حيث كان هذا ردُّهم حين طُلب منهم تأييد "حازم" ولم يطلب أحدٌ منهم التوقيع على بياض- إنما هم بطاعتهم الرُّوبوتيّة العمياء البكماء تلك يوقِّعون لمراكز القوى في جماعاتهم على بياض!! أو لنقل: على سَوَادٍ!! فما تُضمِرُه مراكزُ القُوَى هو نفسه ما يُضمِرُه العسكر حُماة مدنيَّة الدولة.. وما يُضمِرُه العسكر هو ما تُضمره آن باترسُون.. وما تُضمِرُه آن باترسون أسْوَدُ من زيّ الأمن المركزيّ وأسودُ من بلاك ووترا! والمرء يُعرَف بخليله!!

وإن "الكبير" إذا أخطأ أتاهُ الشيطانُ ليفتِنَه ويُزيّن له شِينَه حتّى لا يُبيّن خطأه باعتذاره عنه، ويسوقه شياطين الإنس والجن في بحار الكِبر سَوْقًا فتجد التبرير لتقديس الخطأ.. فيثبُت الخطأ نفسُه ويصير هو الصواب والحق الذي يبثّه الأتباع في الآفاق ويوالون فيه ويعادون عليه ويُعنكِلُطُون له تَعَنْكِليطًا شديدًا!!!

ومع الأسف فإن المبررات التي استخدمها المنتظرون والشاطرون شابَهت مُبررات الروافض!! نعم الرّوافض.. ألا تعلم -أخي القارئ- أن آيةً الشيطان الرافضيّ يزعم أنه يعلم الغيب وأنّه يتلقّى الوحي.. فإذا بثّ كذبةً بين أتباعه فلم تصدُق - وأنّى للكذب أن يصدق - قال إن الله كان قد أخبرني بالغيب إلا

أنه "بَدَا له"، أي أنه يقول بأن الله "غيّر رأيه"!! وبعقيدة البَدَاءَةِ تلك يُروِّجُون دَجَلَهُم على أتباعهم ويبرِّرُون كذبهم بين قطعانهم!!

وكذلك فإنك الأخ الكريم الذي كنتَ من الشَّاطرين فالمُرسيِّين قد وجدتَ قادتك قد نقضوا عهدًا عاهدوا الناس عليه، أو جالسوا السفيرة الأمريكية، أو باعوا فتاة أهينت رغم أنّها أبيّة، وقبل ذلك لم يحرّكوا ساكنًا حين سُبَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم، أو غير ذلك.. ثم تسمع من قائدك المباشر أن: كل ذلك حقٌّ لازم فإنَّ "الجماعة معصومة"!! يا للهول!! احتكروا جماعةَ المسلمين في بعضِ إخوانٍ مسلمين!! وجماعة المسلمين معصومةٌ نعم ولكن فيما أجمع عليه علماؤها المعتبرين من أحكام في شتّى البقاع أو شتّى الأزمان!!

لكن قائدك احتكر جماعة المسلمين في جماعته واحتكر العلم المعتبر في علماءِ جماعته؛ وما ذاك الاحتكار إلاَّ ليُقدّس خطأ قادته الكبار وينفي عنهم التَّثريب والأوزارا! ويغرس الرُّوبوتيَّة في نفوس الصِّغار!! فلو رأوا الرزيّة بأعينهم فلا مناص لهم من إقناع أنفسهم أنها مَكْرُمة، وأنها الواجبُ، وأن أيَّ جماعةٍ تُخالفهم مُجرمة!!

وأنت أخي الذي كان من المنتظرين إذا اعترضت على الخضوع للمُتغلّبين وقُلت: "كيف نُعطي الدَّنِيَّة في ديننا؟" قيل لك "إنها مصلحة الدعوة"!! يا لهذه المصلحة من صنمٍ سُفِكَت على مَذبَحِهِ دماءُ قرابينٍ وقرابين!! يتركون النصّ الثابت لتأويلٍ موهوم ويقولون مصلحة الدعوة!! ألم يكُن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالحفاظ على مصلحة الدعوة والسكوت بدلا من الجهر بها في مكة ودفع المسلمين لتحمُّل العذاب والعسف -بزعمهم- لماذا رفض العرضَ بمشاركة الطُّغاةِ الحُكم وكانت إجابتُه حاسمةً ومخلِصةً: إذ أشار إلى الشمس برأسه وقال: « مَا أَنَا بِأَقْدَرَ عَلَى أَنْ أَدَعَ لَكُم ذَلِك عَلَى أَنْ تَشْعِلُوا لِي مِنْهَا شُعْلَةً

» [حسن: الألباني، الصحيحة 92] أي لا أترك الجهر بالحق الذي أحمله حتّى تأتوا لي بشعلة من الشّمس!!

قال ذلك صلى الله عليه وسلم قطعًا لأمل مشركي قُريش في مداهنته أو مشاركتِه أو مهادنتِه لهم!! ويتعلّل سدنة المصلحة بصُلح الحديبية في قبول كل رزيّة يعرضها الغربُ وأولياؤه، وفاتهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر عُمر بعِلّة ما فعل في ذلك الصلح فقال: « إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي » [البخاري 2731] أي أن ما كان في ذلك الصلح لم يكن اجتهادًا من الرسول صلى الله عليه وسلم؛ بل كان محض وحي صبّر اللهُ نبيّه عليه بإخباره أن عاقبته الخير!! فمن من المشايخ الذين كانوا مُنتظَرين يوحَى إليه اليوم نَبِّئهُ مُغْمَضِين؟؟!!

إنّ من دلائل الانحراف سلوك مسالك المنحرفين.. ولا أحرفَ عن جادّةِ الصّواب من اتّباع الروافض في بداءتهم بعصمةِ جماعةٍ أو بمصلحةِ دعوة!!

إن الذين يخافون ويرتعشون ويتردّدون يعيشون "في البَلَالَا" -بالنّصبِ لا بالفَتحِ!- والذين يفقدون الثقة في الحقّ الواضح ليُسلِمُوا قيادَهم لأفهامٍ تتأوّل بالباطل يعيشون في "البِلَالَا" -بالكسر والمهانة!- ولذا فالفريقان في "البَلَالَا" - بتفخيم الباء المنصوبة واللامَيْن- لأنّ التغيير لا يكون إلا بعزمٍ من بَعْدِ بَصيرةٍ.. والتّوفيق لا يؤتَاهُ الضّائعون التّائهون ولا المرتعشون المتردّدون..

إخوتي يا من "في البَلَالَا" إننا سنحيا كِرامًا أو نموتُ كِرامًا إلاّ أن يشاء ربُّنا شيئًا؛ فأدركوا كل لحظةِ فارقة ترونها بعد أن أضعتُم بانفضاضكُم عن "حازم" لحظة من اللحظات النادرة الفارقة!!

الباب الرابع
مُشكلات عوامِّ المسلمين

ثانوية عامة سِيندرُوم!

يوليو..

ظنّ الناسُ أن شبح الثانوية العامة قد كفّ هذا الشهر عن التجوُّل في أروقة ضميرِ أولياء الأمور.. كنوعٍ من التصييف حتّى يُعاود الانقضاض عليهم بعد شهرين: فيؤرِّق نوم أهل طُلّاب المرحلة الثانية، ويَقُضّ مضاجع أهل طلاّب السنة الأولى في الجامعات!!

لكنه حقيقةً لم يكفّ ولم يهدأ ولم يـ rest in peace!!

فالقتيل الذي مثّل مردةُ شياطينِ الإنس شبحَه لإخافة الناسِ لم يُدفن بعد!!

فما كادَت النتيجة تظهر حتى انكبّ بعضُ أولياء الأمور يُشكِّكون في ما حصل عليه أولادهم وطلبوا إعادة النّظر.. ولمّا حدَّدت الوزارة قيمة الكشف عن المادة الواحدة بـ "مائة جنيه" وجدت في خزينتها مليون وثلاثمائة ألف جنيه في أول يوم لدفع مصاريف إعادة النّظر!!

جُهدٌ مشكور من الآباء بالطبع للاطمئنان على ثمرات جهود أبنائهم في: الحفظ بغير فهمٍ، وتحصيل المناهج الفاشلة باقتدار.. لكن لا بأس!! هو جُهدٌ مشكور على أية حال؛ لأن الدولة: ربطت دخول الكليات بهذا المجموع.. والمجموع رهن الدرجات.. والدرجات رهن الدَّشّ والحرتِ.. فلا بأس إذا من جَنْيِ ثمار الدَّشِيش!!

كان عليَّ أن أنضمَّ لطوابير أولياء الأمور الحريصين هؤلاء.. لأذهب فأطمئنّ بدوري على دَشِيشِ بعض أقاربي المقرَّبين الذين أرجو لهم كُلّ خير.. ولما ذهبتُ فدفعتُ المعلومَ -من جيب وليّ الطالبِ الأصلي لا من جيبي بالطّبع ☺- وملأتُ الاستمارات حدَّدوا لنا زمانًا ومكانًا للاطِّلاع على صورة ورقة الإجابة المصونة -لا الورقة الأصلية- ويكأنّ الورقة إحدى مخطوطات "مالي" النادرة الموشّاة بالذهب.. و"مالي" بالطبع تختلف عن "وأنا ما لي"!!

لم أكُن متذمِّرًا فقد كان القريبُ قريبًا حقًّا، والإجراءات يسيرة ميسّرة والشُّكر لمن قام عليها وضبطها..

لكن اللافت لانتباهي والذي دفعني للكتابة ما رأيتُه هناك -في موقع الاطِّلاع- من مفارقات وغرائب!!

لا أريدُ أن أسهب في الحديث عن أن غالبية مُعيدي النظر في درجاتهم هُنَّ الطالبات لا الطلبة!! هل صارت البنات أكثر حرصًا على مستقبلهن من الذكور؟! رغم أن الذكرَ الأصلُ في فطرته: المنافسة، والمنابذة، والبحث عن التفوُّق.. ليكون: السيِّد، والزعيم، والمتعملق!!

ولا أريد كذلك أن أصف اهتمام أهل الطالبات بالمجيء والتدقيق: بينما غاب أغلبُ أولياءُ أمور الطلبة وتركوهم وحدهم يبحثون عن أوهامهم فلا يجدونها!! تُرى هل انقلبت عقولُ الناس فأهملَت مستقبل الذكور لتهتمَّ بمستقبل الإناث وحدَهُن -ولا شك أن مستقبل الإناث مهمٌّ سواء بسواء- رغم أنه في أصلِ فِطرة البشرِ أنَّ الذكرَ هو المسؤولُ الأولُ عن: أمه، وأختِه، وزوجته، وابنته.. لا المسؤول الأول عن: صفحة الفايس، وشلّة الكافيه والأنس، بينما الإناث في الوظائف والكدح والهَرس!!

ولن أدقِّق كثيرًا في صفات الحاضرات من الطَّالبات وأنهنّ عرائس ناهزن المراهقة فقاربن أن يُنهينَهَا وهُنَّ ما زلن في حبس الدِّراسة بلا أملٍ في زواجٍ مُبكِّر وفق عادات المجتمع البغيضة وتحكُّماته الفريدة العنيدة!! تُرى هل تُجدي الدراسةُ مع منع الزواج في حلِّ مشكلة العنوسة أم علينا أن نتساهل في الزواج مع الدراسة، وربما التضحية ببعض الدراسة من أجل الزواج!! فالبنت في تلك السن في أوجِ نضارتها يخطبها الخُطَّاب، ثم يفترون ليعودوا عند التخرُّج، ثم يذهبون فربما عادوا بعد أعوام أو لا يعودون!!

بالطبع لم أكتب هذا الفصل لمناهضة تعليم الإناث!! بل من أغراضه التوفيق بين تعليمهن وتزويجهنّ بانفتاحٍ تامّ على حاجاتهنّ العاطفية والفسيولوجية تمامًا كحاجات الذكور؛ أما أمرَ اللهُ تعالى فقال: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:٣٢].. لماذا تبقى البنتُ في خواءِ القلب وحاجة الجسدِ طوال فترة دراستها؟! خواءُ قلبٍ قد يملؤه زميلٌ لها غير مناسب ولا صالح كزوجٍ لمجرّد أنه زميل ملأ فراغ عاطفتها.. والناسُ وما تعوّدُوا وهُم يُحبُّون ما يألفون!! ولماذا تبقى حِكرًا على الدراسة بلا تدريب على مهام المنزل أو الأمومة حتّى تبلغ الحادية والعشرين فتتزوج عندَ تخرجها غُفْلاً كما كانت يوم أنهت الثانوية العامة!! فغُفْلاً بغُفلٍ فلتتزوج باكرًا حتى لا تذبُل كوردة طال مُكثها في تُربتها أو عند بائع الزُّهور!!

تقول إحدى الأخوات الفضليات في ذلك الشأن (وتعمل طبيبة): "هل مرّ على الأرض زمنٌ كانت الفتيات فيه تلشغل بإتيكيت نشر الغسيل، وتصفيف الصيني في النيش، وشَغل مناديل الفرح، وألوان الحائط مع الكنب والتابلوهات؟؟

هل حقًا أتى على البشرية ذلك الزمان السعيد الذي لم تكن فيه الفتاة تحمل همّ سوق العمل ومنافسات المهنة وهموم أمّةٍ تنتحر رضاءً لأعدائها؟؟

متى كانت آخر مرة جلست فيها فتاةٌ مصرية تنسِج مناديل الفرَح باسمِها واسم زوجها مع صديقاتها؟؟

أعتقد أن آخر مرة كانت أيام الملك فاروق. رحم الله الأيام.. آثار السحاقِ شديد"..

وأقولُ مُعلِّقًا: نعم!! لقد انسحقت الفتيات -وهُنَّ القوارير- في رحىً ما كان للمجتمع أن يطحنهنَّ فيها.. بل على ذكوره أن يُطحنُوا فيها ويُسحقوا كجنسٍ قابلٍ فِطريًّا للطحنِ.. لينبُتَ من طحينهم سعادة الفتيات والفتيان على حدٍّ سواء!!

وسأمرُّ مرَّ الكرام على بحث الطالب وولي أمره عن درجة أو نصف درجة قد تنقله من كلية قاع إلى قمة -ولا أدري ما جعل هذه في القاع وتلك في القمّة إلاّ عادة المصريين في العنجهية!!- ومن محافظة نائية إلى محافظته.. بينما يغفل الطالب وولي أمره عن البحث عن حسنة واحدة قد تنقلهما معًا من النار إلى الجنة!! مفارقة مؤلمةٌ حين أقارن بين الحرص على إعادة تصحيح الدرجة مع إهمال إعادة تصحيح أخلاق الولد أو حجاب البنت أو صلاتهم وغير ذلك ممّا هو فيصلٌ بين رضا الله الجليل وسخطه!!

تُرى لماذا يُدقِّقُ الناس في درجة أو درجتين -قد تؤثر بالطبع في مستقبل ابنهما أو ابنتهما- ويسعون لمعرفة حقيقة التقييم ومن الذي ظلم وتسبَّب في هذا الهراء الناتج عن عدم تدقيق المصحِّح في درجات البُرعم الثانوي الناشيء -الولد- أهو انقطاع الكهرباء عن مروحة الفصل الضيق الذي كان يجري فيه التصحيح أم هي لذاعة الخروب الذي يُقدمه بائع العصير المقابل للمدرسة؟؟!!

تُرى لماذا يُدقِّقون في درجات الثانوية العامة ويسعون لمعرفة الحقيقة حولها بينما هُم يأخذون: كلام الأصلع الكذّاب، وقرينته الصِّدِئة، وكذا "العكش" وأنثاه القرّاعين، و"بكري" مطبِّلاتي كل العصور، و"أبو حامد" الصليبي -ومعظم هؤلاء بالمناسبة فاشلون في الثانوية العامة- يأخذون كلامهم كأنه الحقيقة الكاملة الناصعة الواضحة!!

بل لماذا يُدقق أولياء الأمور في نتيجة الثانوية العامة ولا يُدقق الإسلاميُّون منهم في نتائج انحراف مشايخ وأساتذة العسكر.. الذين منحوهم جهودَهم وأصواتهم

في الانتخابات لخدمة قضية لا يتبنّاها هؤلاء المنوحون حقيقةً!! ثم بعد التدقيق يقيسون الوسائل من قبل النتائج على ميزان الشرع ليعرفوا أين الصواب من الخطأ!!

بل لماذا يدقق أولياء الأمور في نتيجة الثانوية العامة ولا يدققون في فتاوى "أبو حمّالات" الذي لا يفقه في كتاب الله ولا سنة رسوله شيئًا قليلاً ولا كثيراً.. بل ربما هو عدوٌّ لهما بعبارةٍ أكثر صراحةً ووضوحًا!!

لماذا يدقق الناس في نتيجة الثانوية العامة ولا يدققون في كذب المجلس العسكري -كذب الإبل- الذي برّر به سفك الدماء وحرق الأشلاء وقطع الماء ووأد الكهرباء، بل حبس خدمات كل من هو قائل باااااء.. بااااااء.. بااااااااااااء!!

إني لأعتبرُ كل ما مرّ من "لماذا" بديهيًا خاب من غفل عنه ولو كانوا 99.9% من مجتمع اكتسب صفات ما يأكله من خُضارٍ مُهَجّنٍ وطيرٍ مُدَجّنٍ وعجينٍ مُلَيَّن وفاكهةٍ مسمومة!!

لكن حقيقة أصل الداء لا تكمُن في مفردات الـ"لماذا"!! بل أصل الداء يكمُن في عنوان الفصل حقًّا!! فسبحان من جعل لكل شيءٍ نصيبًا من اسمه!!

نحن شعبٌ سادة -يعني من غير سُكّر- صار "المهمُّ" عندنا "ثانويًا".. وأصبح "الخاصُّ" عندنا "عامًّا"!! تزحلقت "الأولويّةُ" من موضعها المتقدِّم لتصبح "ثانوية".. وحدث "للخصيصة اللّصيقة" طفرة فصارت "عامّة" ومشاعًا؛ وربّما انفقأت عيون بصيرتها فصارت عامية -عمياء يعني-!!

لم تعُد الثانوية العامة مرحلة دراسية وحسب!! بل منهج حياة يوشك أن يذهب بكل مُهمّاتٍ وأولويّات الحياة!! لقد صارت ثانوية الأولويات وعمومية الخصوصيّات: مُتلازمةٌ مرضيّة Syndrome واضحة الأعراض ظاهرة المعالم لمن اقترب وتأمّل وأراد الإصلاح!!

فـ. جيشٌ يصنع المكرونة بينما يستورد السِّلاح بل يستورد البيادة ذاتها!!

وشبكة كهرباء تترك مصابيح الشوارع مضاءة نهارًا لتفصل الكهرباء عن المستشفيات والبيوت ليلاً؛ توفيرًا للكهرباء وقتلاً للأطفال في الحضّانات!!

أمهاتٌ يُعلِّمن بناتهنّ كلّ شيء إلا مُقوّمات الأنوثة المكتسبة ومهاراتها اللأزمة!!

وآباءٌ يجلبون المال بينما لا يُعلمُون أبناءهم الأدب، ولا يُفهمونهم طبيعة فسيولوجيتهم ولا الصحيح في توجهها!!

مشايخُ يتركون المنابر -حين رفع الأمنُ يده عنها- ليسكنوا البرلمان، بينما "واجِد خمّنا" يُصلّي بالصفِّ الأول في جنازة شهداء الحدود!!

آباءٌ وأمّهاتٌ يسعون في توظيف أبنائهم وتعليمهم ثم هُم لا يسعَون في تزويج بناتهنّ الزواج اللأئق!!

وأخيرًا وليس خاتمة الانجراف.. ما دفعني لكتابة هذا الفصل أصلاً!! وهو البحث عن حقيقة ضياع درجة في امتحان مع الغفلة التامة العمياء عن حقيقة حال دار الوطنِ اليوم، أو حالة استقرار المآل في الوطن الأول والأخير= دُار الآخرة!!

بالطبع كثيرٌ من انقلاب الأولويات هذا الذي شكّلت أعراضُه مُتلازمَةَ المرض المزمنة هذه "ثانوية عامة syndrome": مقصُودٌ ومُمنهج وليس ناتجًا عن الغفلة وانحراف الضمير المجتمعي كلِّه وانجرافه للعمى عن أولوياتِه!! لكن هكذا صار الحال في النهاية ثانويًا عامًّا!!

ولعلاج تلك المتلازمة المرضية المجتمعيّة.. فلا أقل من قيام الشباب والشيوخ على حدٍّ سواء بإعادة ترتيب الأولويات حين يضعون خُطط البناء وإعادة تأهيل المجتمع!! ثم لا أقل من أن تقوم الجمعيات والحركات والائتلافات الكثيرة التي نشأت مع الثورة وبعدها بدورها الواجب من تصحيح المفاهيم وتوضيح الأولويات بجلاء للناس سواء في الشأن العام والخاص!! وكذا في إنشاء مشاريع تشغيل للشباب الدّارسين بما يتناسب مع ظروف دراستهم ليتأهّلوا لحمل

المسؤولية وبدء الحياة العملية باكرًا عن سنّ التخرُّج، فيتمكنوا هُم أيضًا من الزواج المبكّر؛ لأنهم ليسوا كالفتيات قد تأتي الزوجة على حصانها الأبيض فتتلقفه وتطير!! لابد من التوعية وإنشاء المشاريع المختلفة فالإصلاح لا يأتي من الإعلام وحده!! وكما أن هناك جمعيات تختص بـ "التوعية بالحقوق السياسية" لابد أن تقوم الجمعيات أيضًا بـ"التبصرة بالأولويات الفِطريّة".. ليعود الأهمُّ أولويًا بعد أن دُفِن في الثانوية وليعود الخاصُّ لانحساره بعد أن انفتحت أسوارُه فصار عامًّا مَشاعًا..

يجب هذا الجُهد عمليًّا متوازنًا لتتفكك أعراض "متلازمة مرض الثانوية العامة المجتمعي" عَرَضًا عَرَضًا ويتم شفاء المجتمع منها بإذن الله.. فلابد للبناء من رؤية صحيحة ولابد للرؤية من بصيرة!! ولا بصيرة لمن انحرف عن واجبه الأول لدونٍ منه، أو حاد عن واجبه لنفلٍ لا يلزمه، أو غفل عن واجبه لضياعٍ يضره ولا ينفعه!! قد يختلف الناس حول الأولويات السياسية مثلا!! لكن كيف يبقى الناسُ مختلفين حول الأولويات البشرية الطبيعية وأولها معرفة الحقيقة الصريحة -و تتنوع إلى: فسيولوجية وعاطفية وتربوية.. إلخ- إلا إذا انتكست فِطرُ الناس في مجتمع يدَّعي أنه يهتدي بهدي الإسلام؛ وينبغي عليه أن يفعل وإلا فشل!!

فيا معشر المصريين عودوا فابدؤوا بأولوياتِكُم!! والله الهادي سواء السبيل..

مُستسلمونْ!!

مُستسلمونْ!!

في الغُبُونْ..

يَلعَبُونَ ويَمْرَحُونْ..

يَسْرَحُونَ كالبهائمِ يَنْعَمُونْ..

دِينُهُمْ مَا يَعْشَقُونْ..

يَأْكُلُونَ ويَشْبَعُونْ..

يَنْكِحُونَ ويَنعَمُونْ..

يَغْفَلُونَ فَيُسْحَبُونَ ويُركَبُونْ..

هَؤلاءِ هُمْ نِسَاءُ المسْلِمينَ بِغَيرِ "نُونْ"!!

أينَ مِنَّا مُذكِرُونْ؟؟!!

أينَ مِنَّا النَّاصِرُونَ المُصلِحُونْ؟؟!!

هُمْ قَليلٌ مِنْ قَلِيلٍ يَنْبُتُونْ!!

لَكِنِ الدُّنيا تُدَالُ ويَمْلِكُونْ..

سَوفَ يأتِي اليَوْمُ أوْ تَأتِي المَنُونْ..

دِينُنَا لا لَنْ نَخُونْ..

نَحنُ نَحنُ المُسلِمُونْ..

نَحنُ نَحنُ المُسلِمُونْ..

الباب الخامس
النتيجة: تسلّط الطّغاة

عسلُ الخشخاش

"إن الحياة عبيدٌ وسادة، عبيدٌ دون ذنبٍ، وسادةٌ من غير حقٍ، ومُتسلّطون دون مؤهِّلٍ، يُقرّبون ويَحمُون أمثالهم، ويُسلِّطون أعوانهم على المجتمع وهم ليسوا بأكفّاء ولا أهل، ويُبعدون أهل الرأي والفِكر، وأصحاب العلم، فينتشر الفساد وتتحكّم الفوضى، وتشرئبّ أعناق أراذل القوم للمُباهاةِ، وتنخفض هامات الرجال، وتتراجع الأمّة وتتأخر عوامل النهضة ومقومات الحياة". [محمود شاكر (المؤرّخ) - سيادةُ الجُهّال: 41]..

إننا - إخوتي- لم نصل لهذه الصورة المجتمعية القاتمة بالقمع وحده!! فليس كل الاستبداد بالحديد والنار!!

لقد تعلّمَ الغربُ الدرسَ جيدا فلم يعُد يواجه الإسلامَ بالقمع وحده، لكن وفّر على نفسه تكاليف الحرب من دماء وأموال وصار يلجأ كثيرًا لـ"إدارة المعارضة الإسلاميّة": بحيث يحقق من وراء تلك الإدارة أكبر منفعة ويتوقّى أشدّ ضرر.

فطواغيتُ العرب والعجم ينظرون لبلاد الإسلام على أنها حقلٌ خصبٌ يزرعون فيه الخشخاش ليبيعوا إنتاجه صافيًا عالي الجودة لأسيادهم في الغرب والشرق؛ وما خشخاشهم ذلك إلا "الجاهلية" التي يزرعون بذورها بأيديهم ويحمونها بكل قواهم ويحرسونها بأعوانهم حتى تزهر وتثمر ويرعى فيها الناس كالنحل يلقحونها ويجنون رحيقها فيُنتجون عسل الخشخاش!!

وينظر الطواغيت في ذلك إلى الحركات الإسلامية على أنها آفات وُجدت لتفسد محصول المخدّر وتتغذى عليه لتهضمه وتُفنيه؛ وواجب المُزارع قتل الآفات!!

إلا أن الطواغيت وأسيادهم وجدوا أن تكلفة قمع الآفات الحركيّة تلك أعلى بكثير من قيمة ما تكبّدهم من خسائر؛ فهذه الآفات شرسة تعض وتقتل كل عون للطاغوت نزل الحقل ليكافحها ولا أدل على شراستها من تلك الخسائر البشرية والمادية الفادحة التي تكبدها الغرب والشرق في حربه مع الإسلام في شتّى العصور.

فلقد أفنى الروس اثنين وعشرين مليون مسلم طوال حكم ستالين وحده ولم يُفلحوا رغم ذلك في استئصال الإسلام من الشيشان -على صغر مساحتها- حتى اليوم ولا تزال مقاومتها آية في النضال وكفاح المستعمر الغاشم..

وكذا طالبان تذيق حلف الناتو بأفغانستان سعير مُقاومة لم يُر لها مثيلٌ في عصرنا الحاضر..

ومقاومو العراق يصطادون جنود الجيش الأمريكي ومرتزقة "بلاك ووتر" كما يصطاد أهل العراق البطَّ في شط العرب..

ومجاهدو الشام يُكبّدون: روسيا في خبرائها وقناصيها، وإيران في حرسها الثوري وحزبها اللبناني، وعراق المالكي في ميليشياته؛ ويلات الفناء قبل أن يذيقوا جنود بشار الموت.. وكذا فعل مجاهدو ليبيا في مرتزقة القذافي.. وأمثلة البطولة الإسلامية في عصرنا تربو على الحصر..

ولذا كان لابد للغرب عبر وكلائه حكام العرب من إدارة لما يرونه آفاتٍ تضر محصول المخدّر الجاهلي الذي يزرعونه ويتاجرون فيه.. قبل أن تستفحل وتقضي على ذلك المخدر الجاهلي فيُفيق الناس وينتهجون الصدام والجهاد..

وفي مجال الزراعة فإن "إدارة آفات محصول" تكون -اختصارًا- عبر: دراسة عشائر الآفات عن كثب، وقد يُستخدم صيد الذكور وتعقيمها في قطع لسل تلك العشائر، وقد تُستخدم الأعداء الطبيعية في إفناء الآفات، وقد يُدفع بعشيرة آفة قليلة الخطر لتنافس آفة عظيمة الخطر فتقلل من ضررها ويهلكا معًا، وفي النهاية عند فشل كل السُبُل يُلتجأ إلى الرش بالمبيدات كاستئصال للآفات التي لم ترضَ بالعيش تحت إدارة صاحب المزرعة!!

وهكذا يُدير الطُغاةُ عشائر الإسلاميين.. فتعالوا نرَ:

[1]

الدراسة عن كَثب

إن الأنظمة تراقب معارضي طاغوتيَّتها كما يراقب مزارع الخشخاش آفات محصوله المخدّر..

وتستخدم الأنظمة عدة وسائل للمراقبة؛ منها التقليدية: كالجواسيس ومراقبة الهواتف ونسخ المستندات. لكن أهم وسائل المراقبة على الإطلاق هي: الدراسة عن كثب أو"الاعتقال" في مختبر أبحاث نفسية اسمه "السجن".

فيُخطئ من يظن أن الاحتجاز الجبري هدفه الأوحد هو الإذلال أو حتى وقف النشاط!!

فليس هو دومًا تلك الضربة الأمنية الإجهاضية!! بل غالبًا أبعد من ذلك: فرجال الأمن أثناء احتجاز الناشط يعرضونه لمختلف الضغوط سواءً منها الإيذاء أو الإغراء، ويراقبونه وينقلونه من مرحلة في الاختبار إلى أخرى وفق ردود أفعاله وينوّعون ما يتعرّض له وفق برامج علمية مرتبة أعدها متخصصون غربيُّون..

فتجد أن من الناشطين من يستجيب لضغط التعذيب على درجاته فيلتكس أو حتى يدلّ على زملائه ويضع نفسه تحت تصرّف الأمن، ومنهم من يكون أكثر صلابة فيحتاج لضغوط أشدّ كتهديده في عرضه أو أهله، ومنهم من لا يضره الإيذاء أصلا فينتقل البرنامج إلى الضغط بالإغراء.

ويختلف الإغراء وفق ميول الناشط الشخصية: فمنهم من يستجيب لإغراء المال عبر قبول وظيفة في شركة مرموقة في مقابل العمل كعين للأمن فيها، ومنهم من لا يشتهي إلا النساء وهذه قد تُستخدم كنقطة ضعف: فيُحرم من لقاء زوجته عبر طول فترة الاعتقال ويُحرم من اللقاء الشرعي في السجن أو يوضع هذا اللقاء المجاز بتصريح مُهين في ظروف أشد امتهانًا: كأن يكون في خيمة في فناء السجن أو حجرة غير آدمية. وأخطر نوع -في النشطاء- من حيث

ضعفه أمام الشهوة هو مريض شهوة السلطة: الذي يزهد في المال والنساء بل والطعام والشراب وإنما شهوته السيطرة المطلقة.. وهذا تجد نوع الاختبار الذي يتعرض له بفتح باب الزعامة أمامه داخل السجن فيستخدمه الأمن كعرّيف لجماعته أو كمصنِّفٍ فِكريٍّ يحكمُ في حديثي الاعتقال لأي فكر ينتمون: وعلى أساس شهادته يتم توزيع المعتقل: فيحكم فيه أسلفي هو؟ فيُحتجز حيث لا هتك عرض ولا كهرباء، أم جهادي هو؟ فيُلقى حيث زبانية الطاغوت يفترسونه!! وهذا الصنف خطورته أشد من أي صنف آخر: لأنه أمام الناس زاهد فيما بأيديهم وربما أمام نفسه!! فيظن نفسه المتجرّد المضحّي وما هي إلا خديعة الشيطان؛ فلكل منا مفتاح فساد علمه من علمه وجهله من جهله.. ولنسأل الله العافية.

وأنت تجد الأمن بارعًا حقًا في اكتشاف الشخصيات ومتنوعًا في أساليبه ولا يخوى جرابه!! فمن لم يستجب لضغط التعذيب أو الإغراء يبدأ معه الحبس الانفرادي مع عزل الحواس وتقييد اليدين خلف الظهر بالسلاسل بما يعيق معرفة الأوقات والاستطعام وقضاء الحاجة والتطهر؛ وربما التجويع والإزعاج المستمر أو استمرار التعذيب؛ وذلك لاختبار مدى صلابته في الرفض وإلى أي درجة يستطيع الصمود..

ومن صمد بعد كل ذلك يُصنّف من فئة من لا نفع من ورائه، ولن يأتي من ورائه إلا الضرر؛ وهم من سيحوزون شرف الاعتقال مدى الحياة كالشيخ عمر عبد الرحمن، أو يوضع في قوائم الانتظار للتصفية عاجلاً أو آجلاً، وهذه الفئة من مشاهيرها على مدار تاريخ الحركة الإسلامية: سيد قطب والسنانيري وأخيرًا سيد بلال رحمهم الله.. وإنما يتم الإفراج عمّن قَبِلَ التعاون أو سقطت أنيابه أو هو صلبٌ لكن لا ضرر كبيرًا من ورائه الآن، والقليل يتم الإفراج عنهم تحت ضغط واضطرار للحفاظ على صورة العدل الزائف أو الديموقراطية المخاتِلَة.

[2]

التعقيمُ الفِكريّ

تُعتبر الجماعاتُ المختلفةُ عشائر تربطُ أفرادها وشائجُ النَّسبِ والمصاهرة الفِكريّة والعقائدية؛ وهذه الأفكار والعقائد تتناسل في العقول وتُفرخُ وتتطوّر.

وحين يريد النظام تعقيم العشائر الفكرية: فإنه ينظُر أولا إلى الأرحام التي تحمل هذه الأفكار وتغذيها وهي عقول مُنظّري الجماعات ومُفكّريها، ثم ينظر بعد ذلك إلى الأجنة نفسها وهي تلكم الأفكار التي يُعاد إنتاجها أو تطويرها عبر اجتهاداتٍ جديدة. ولابد لعملية "تلقيحٍ فِكريّ" أن تتم بالتّوازي مع عملية التعقيم تلك!! فخواء الساحة من أفكار المنظِّرين الكبار سيعطي الفرصة لأفكار أصغر منهم وأبعد عن سيطرة النظام أن تسود.. وهذا ضرر بالغ؛ بل لابد من تلقيح أفكار الجماعة بملوثّاتٍ تُضاد الحق وتصد عنه:

ففي قضية مثل قتل المعتقلين تحت التعذيب الوحشي أو قتل المتظاهرين في الشوارع يقوم النظام بتعقيم أفكار الجماعة عن استيلاد فِكرة القصاص من مجرميه عبر استخدام معاونيه من قادة الجماعة في توصيف الأمر على أنه قتلٌ خطأ، أو حتى قتلٌ عمدٌ لكن لابد من قبول الديّة فيه لأجل ألا تشتعل البلاد بنار الثأر وتسقط هيبة الدولة..

وهذا كله للقضاء على الحق في المسألة وهو أن قتل أولئك الأبرياء من معذبين ومتظاهرين سلميين إنما هو إفسادٌ في الأرض حكمه في الإسلام حد الحرابة فعلى الدولة قتل الباغي وصلبِه عبرة لمن تسوّل له نفسه إهدار الدماء وإرهاب الآمنين. وليس لأهل القتيل دية أصلا ليقبلوها!! بل تكافئهم الدولة مكافأة تسلّيهم وتعينهم بها على نوائب الدهر.

إن الناس يروون القصة الضّعيفة [تحذير الداعية من القصص الواهية: 147/1] بأمر عُمر للقبطيّ أن يضرب ابن الأكرمين -رضي الله عن عُمر وعمرو وبن عمرو-

يروونها على أنها فخرٌ بالعزّ، ودليلٌ على أن هيبة الدولة في القصاص وسائر العدل لا في التهاون فاعتبروا يا أولي الأبصار.

وكذلك في قضية مثل مقاضاة منتسبي الداخلية السابقين والحاليين بتهمة التعذيب؛ فتجد النظام يستخدم أعوانه من المنظِّرين لزرع فكرة العفو في أذهان المعذّبين السابقين بدلاً من فكرة وجوب تطهير الداخلية من هؤلاء الوحوش الذين يتربَّصُون بالمؤمنين الدوائر ليعودوا سيرتَهم الأولى.

والمفاجأة أن في مثل هذه القضية تجد التوجيه بتعقيم الفكر منها ليس قادمًا من قيادات أمنيةٍ كبيرة ولكن يتوسط الضباط المعذِّبين أنفسهم لدى مشايخ الجماعات لكبت أبنائهم المعذَّبين عن تحريك القضايا ضدّهم، ويتمسكنون متوسِّلين بالرحمة والعفو، وأن لديهم أولادًا، وأن الوزير توعّدهم أن من صدر في حقّه حُكم فسُينفّذ فيه!!

يُريح الوزير نفسه بتقديم الضباط الفاسدين كباش فداء ليظهر بمظهر البطل، وتأبى معادنُ عَقِيمِي الفكرِ هؤلاء حتّى عن تمثيل البطولة - لأجل المصلحة العامّة - تلك البطولة الواجبة التي يفتقدون مقوّماتها.. فيرفضُ شاهدٌ شاهَدَ آثار التعذيب بيّنةً ظاهرةً على جثّة سيد بلال أن يشهد ضِدَّ قاتليه في المحكمة؛ وهو شاهدٌ أيضًا على إغراء القَتَلة لأسرةِ سيّد بقبول الدية؛ لأنه كان الرسول بينهما!!

وشاهدٌ آخر هو أكبر قدرًا في جماعته من الأول- رفض أن يشهد في القضية بما فعله سائرُ ضباط أمن الدولة من تستُّر على الضباط القتلة، ودفع للأسرة أن يدفنوا سيد سريعاً دون بلاغ ودون تشريح؛ حيث قال أحد الضباط أمام هذا الشاهد الكاتم لشهادته: "ادفنوا الرمّة دي دلوقتي، وإلا ندفنه في مدافن الصدقة، وما تعرفولهوش طريق"!

أين هذا من: ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٨٣].. ومن مرير سُخرية الحياة أن يكون الكاتمُ الأول مُكلّفًا بعد ذلك من قِبل البرلمان بتقصّي حقيقة مقتل بُرآء جُدُدُ على يد الطرف الثالث!!

صار البعضُ حريصًا على مصلحة الأمن أكثر من الأمن نفسه!!

وبالمثل حين يكون للجماعة الكُبرى رجلٌ مناضلٌ في الثورة قادَ رجاله لحماية الميدان حتّى أطلق عليه الثوار لقب (وزير دفاع الميدان)؛ ثم بمجرد أن ولّت الجماعة وجهها شطر البرلمان انتقلت قوّاته لحمايته وتركت الميدان دون أدنى مسؤولية تجاه رُفقاء الأمس.. لا عجب أن يُكافأ باستيزاره بعد ذلك!!

وآخر أعلى منه في جماعته -وربما هو من أغنى المصريين مالاً- أعدم العسكرُ سيّده وقُطبه قبل خمسين سنة: ثم هو بُعيد الثورة بشهور يترك اجتماعًا مع كل فصائل العمل الإسلامي تتفق على فعالية سلميّة تتحدّ فيها ضد (وثيقة) عدوٍ مشترك -مليونية 29/ 7/ 2011-؛ يترك الاجتماع بمجرد تلقّيه اتصالاً من عسكريٍّ يُبشره بتمام صفقة جماعته معهم فلا حاجة لتلك الفصائل؛ فليترك مساعدَه يُنهي الجلسةَ بلُطفٍ ولا يعود لبقية الاجتماعات ثانيةً!!

إن كثيرًا من الأفكار التي تُهيئ طريق التمكين الفعّال يقوم أعوانُ الطُغاة بوأدها في مهدها أو حصارها كي لا تسود داخلَ جماعاتهم؛ ذلك أن الأسياد لا يُريدون لمثل هذه الأفكار أن تنمو؛ لأنها طريق سيطرة حقيقيّ بدلاً من برلمانٍ مُهددٍ بسيف (عدم دستورية طريقة انتخابه) ، ولا يملك من أمر نفسه ولا أعضائه شيئًا -فضلاً عن أمر بلدٍ بأسره- وبا لمناسبة حروف (ب أ س ر ه) فإن البلاد بسبب عقيمي الفِكر هؤلاء ستظلّ كلها في الأسر والله.. فلابد له أن يستجيب لوضع موادٍ في الدستور الجديد تُقنن البقاء الآمن لأسياده..

ولنُجملَ النظرة في باب التعقيم الفكريّ فلننظر إلى المجتمع -كما سبق وذكرتُ- على أنه مزرعة غصبها الطاغوت فزرع وسط محاصيلها الخشخاش: وهو جاهليتُه، وهو في ذلك يرى الإسلاميين آفاتٍ تُصيب محصولَه الثمين ويجب عليه مكافحتها، والشعب الكادح نحلٌ يأخذ من رحيق الموالح والتفاح كما يأخذ من زهور الخشخاش!!

ولذلك فإن الطاغية يحتاج إلى عالم شرير: هو جهاز استخباراته عليه أن يقوم بعملية تعديل جيني لأفكار الإسلاميين، فتعقم أفكارهم عن مجابهة جاهليته فيتخبط الناس في جني رحيق المُخدر مع رحيق الفاكهة والخُضَر.. فينتج منهج حياة سقيم معوّج اسمه اسم الإسلام وحقيقته تخدير الأنام.. هو عسل الخشخاش!!

[3]

التعقيمُ القياديُّ

ولا شك أن أيسر طُرق التعقيم هي بضرب الأرحام نفسها (أي ضرب القيادة).. فلا تغيير فكريًا إلا عبر قيادات عميلة مُتعاونة أو مُستغفلَة مُغيّبة؛ وإن الغياب عن الواقع في حق القيادة جريمةٌ لا تقل إثمًا عن الخِداع الواعي.. والعميل المُستغفَل يؤدي نفس دور العميل المأجور!!

ولا شك أن التعقيم القيادي من أوْلى وسائل (إدارة العشائر الإسلامية المعارضة) ارتباطًا بعملية (الدراسة عن كثب)؛ فأساسه معرفة: مَن الخطِر؟ ومن المتعاون؟؛ وهذا لم يكُن يتم التأكد منه تحقيقًا إلا عبر صيد الناشطين بالاعتقال وحجزهم للفحص والدراسة في السجون.

فمن قميء ما يُبكيك بتهات السخرية: أن تجد مِنَ الكُبراء مَنْ يُسبّح أتباعُهُ بوَعيِهِ وعِلمِهِ ببَواطِن الأمور؛ ولا شكّ!! فلمَ لا وهو يُفتي في النوازل عبر الهاتف وهو في طريقه من مكان لآخر!! وما علموا أنه إنما يَبني على أصلين لو ظهرا لرُجم رجْم قبر أبي رغال!! فهو يتصل ببعض أهله يحكون له الأخبار نقلاً عن الفضائيات والجرائد وما شابه -فلا هو شَهِدَ المَشَاهِدَ ولا شَاهَدَهَا!!- ثم يُفتي بناءً على ذلك أو يتثبّت من الأخبار الغريبة عبر سؤال العسكر أو مسؤولي وزارة الداخلية!!

الشيخ: أيها اللواء العيسوي؛ هل تستخدمون الخرطوش؟

العيسوي: ماعندناش خرطوش يا شيخنا!!

الشيخ: نوّرتنا؛ جزاك الله خيرًا!!

أتضحك أخي القارئ أم تبكي؟! الكُبراءُ يبنون على نقلٍ عن وسائل الإعلام -وكثيرًا ما يرفضُون التقارير الميدانية إذا توافرت لديهم: تطوُّعًا أو بأمر منهم- ويتثبَّتُون بشهادة خَصمٍ من أتَوا إليهم ليحكموا في القضية.. لا عجب أن

يُجالس هذا الكبيرُ شفيقًا ليلة نتيجة انتخابات الرئاسة ليفتدي رقبته ورقاب أتباعه ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ [النحل:٥٩]!!

ونعود إلى التعقيم القيادي؛ الذي يتمّ عبر طُرُقٍ عِدّة وفق خطورة القيادي المراد وأدُه:

فأولها أكثرها عنفًا وهو الاغتيال والتصفية الجسديّة:

وهذا أشبه في نظر الأمن باستئصال مخّ أحد الروبوتات الخادمة ليتم استبداله لاحقًا بمخٍّ جديد عليه برامج تتناسب وأهداف سيده!! وهذا حدث في مصر ولا يزال يحدث!! فقد تم في إخوان مصر نفس الشيء عبر اغتيال البنّا نفسه ثم إعدام القيادات ذات النزعة النضالية الصدامية - كعبد القادر عودة وسيّد ومجموعته، ثمّ صهره السنانيري وغيرهم- والإبقاء على من يعتنقون الفكر التعاوني مع نظام العسكر القدماء لتحييد الجماعة.

ولم يكن في السلفيين من يصلُ لتلك الخطورة اللهم إلا السلفية الجهادية، وهؤلاء أصحابُ الأخدود في العقود القليلة الماضية. وإن كان في السلفيين من يُشكُّ أنه قضى اغتيالاً لكن لا مجال للتثبّت ولا معلومات أوسع متوفّرة.

وثانيها الاغتيال المعنوي:

وتنتهجه الأنظمة مع من كان يُمكن تحييده بغير القتل عبر سَوقِ الأعوان عليه لتشويه صورته وإقصائه عن مواقع القيادة والتأثير في نفوس الأتباع لضمان عزل أفكاره الضارّة بمصالحهم وعدم دخولها في سلك التطور الفِكري للجماعات.

ولابد لهذا الاغتيال المعنوي للثائرين والثابتين من أن يتم معه على التوازي تلميعٌ للمتعاونين والمستغفلين؛ واقرأ معي ما قاله المؤرّخ محمود شاكر -رحمه الله- في من يسمح له الطاغوت بالظهور من القيادات:

"فيأتون بمجموعة من أصحاب الرأي والعلم، أو من أصحاب الحكمة والفقه، ويضعونهم بجانبهم يبرّرون لهم تصرفاتهم، ويؤيدونها بأقوال ليست صحيحةً بالضرورة، إذ يقدّمونها دون أدلةٍ مناسبةٍ، ومن غير أن تكون عندهم إحاطة تامّة بالموضوع. يفعلون هذا ليُعطوا لأفعال سادتهم الصفة الشرعية مقابل المصالح الدنيوية التي تُقدّم لهم، وربما تكون من غير تقديم ولكن جهلاً بالموضوع" [سيادةُ الجُهّال: 68].

ولا مرجع أدلّ على رسوخ (التعقيم القيادي) في طريقة معالجة الأنظمة للجماعات -عبر استبدال الرؤوس المرفوعة بأخرى مُطأطئة- من شهادة المؤرّخ محمود شاكر عن أحداث 1954 إذ قال: "... أما الولايات المتحدة فقد رأت زرع أعوان لها بين أفراد الحركات الإسلاميّة وخاصّة الإخوان منهم واستخدامهم وسيلة لجرّ بعض الأعضاء البارزين إليها أو كسبهم إلى جانب أتباعها للتعاون معًا والسير بالجماعة إلى تغيير نظام الحكم، وهي تسعى إليه، وتريد الولايات المتحدة جعله يتّجه للسير في فلكها..". [التاريخ الإسلامي: 236/13].

وقال أيضًا: "... كما أن كثيرًا من المدنيين لم يكونوا أقلّ من العسكريين مصلحةً، وقد أفاد العسكريون عندما وصلوا إلى السلطة من هؤلاء المدنيين أصحاب المصالح، فانتزعوهم من حركة الإخوان بتأمين بعض المصالح لهم، وضربوا بهم الجماعة وفرّقوا صفوفها فأضعفوها، ثم تصرّفوا حيث شاءوا، وقد زالت من أمامهم أكبر قوّة كانوا يخشونها، وأكبر عثرة تعرقل خط سيرهم المنحرف" [التاريخ الإسلامي: 239/13].

ولا يقتصر نهج التعقيم القيادي هذا على الإخوان قديمًا أو حديثًا؛ بل نراه اليوم جليًا في شتّى الجماعات..

وغاية الأمر أن تحوّل الأنظمة من قمع الجماعات إلى إدارتها لا يكون وهي صغيرة ضعيفة بل حين تستعصي الجماعة على القمع عددًا أو تسلُّطًا أو

تصلُّبًا فتزيد تكلفة قمعها على مصلحة النظام في الخلاص منها؛ فيلجأ شياطين الإنس إلى الإدارة والتفكيك والخلخلة وهي أنجع وأرخص من الصدام والتضييق.

[4]

الأعداء الطبيعيّون

وهم كائنات طبيعتها مخالفة لأعداء مُزَارِع الخشخاش وعدوُّ عدوّه صديقُه!! فيستجلبهم ويدعمهم ليتخلصوا له ممن يؤرقه.. ومنها:

المفترسات:

لا يفلّ الأيديولوجيا إلا الأيديولوجيا؛ وبما أن الطاغوت غالبًا لا أيديولوجيا له إلاَّ تعبيد الناس له.. فهو عاجز عن محاورة الإسلاميين ومقارعة الحجة بالحجة لذلك يلجأ لأعدائهم الطبيعيّين: وهم كل من صادم منهجُهُ منهجَهُم وفكرُهُ فكرَهُم.. فيفتح لهؤلاء الأعداءِ الأبواب، ويُغدق عليهم الأموال، ويسرّحهم في الإعلام كيف شاؤوا، ويُركّبُهم من المناصب ما رآه ملائمًا لمهمّتهم.. فيزرعون الشبهات، ويُنعشون في قلوب الناس حب الشهوات، ويضعون أمام كل مُصلِحٍ عقبةً كؤودًا مدروسةً بعنايةٍ: لصميم معرفتهم بفكره وقراءتهم لعقله.

تمامًا كصاحب مزرعة الخشخاش إياه إذا أراد أن يقضي على حشرة المنّ مثلا استجلب لها مفترسًا يسمّى أسد المنّ يتتبع صغارها فيُحكم فكيه الضخمين الكبيرين على جسدها ويثقبه ويبث في داخله عصارته الهاضمة ثم يمتصّ محتوى الجسد الهامد حتى الثمالة!! فهذا كاتبٌ يفتري على مجتمع الإسلاميين، وهذا مُمثلٌ يعرض شخصية الملتزم في صورةِ الوحش الذي لا يُفارقُ السّلاح يده ولا تغيبُ خيالات الشهوة عن عقلِه، وهذا رئيس تحرير جريدة أدمن الكذب والتلفيق، وذاك ناشطٌ ثائرٌ مهمته التأكد من خُلُوّ الميدان من كل مظاهر الإسلام، وهذا مُفتي اللِّيُونز صديقُ سيّدات المجتمع عدوُّ رجالِه، وهذه مُقدِّمَةُ برامج مهمتها تلميع كل هؤلاء -وقد تُلمِّع أيضًا الطفيلات كما سيأتي- وذاك صاحبُ شركاتٍ ومزارع يُستخدم كسِتارٍ لتمويل كل هؤلاء السابقين

بالأموال وتيسير أعمالهم بالجاه والسلطان.. وكل هذا من أصول الإدارة حيث يُحاصر بهم الطَّاغيةُ خصومه ويقضي بلا عناء على من يُدوّخونه.

ولكن نسي الطاغية وعمّاله المفترسون أن سُنّة الله الحكيم قد مضت بتسليط هؤلاء على المؤمنين.. وذلك لحكمة جليلة هي في صالح المؤمنين! ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٧].. وكل جهودهم لن تثمر إلا تنقية الصفّ ممّن لا يصلُحُون للكفاح.

الطُفَيْلات:

والطفيلات هي الكائنات التي تعيش داخل (الكِيان) تُحافظ على حياته؛ لكن في وهْنٍ وضعف يسمح لها بالتغذّي عليه وتحقيق مصالحِها الشخصية وتمنعه من بلوغ غاياته؛ وقد سبق الكلام عنهم في باب التعقيم القيادي؛ فهم البدائل الجاهزة المتوافرة التي يزرعها الطاغية مكان القيادات المشاغبة والثائرة والثابتة على الأصول، وغالبهم من الذين استجابوا للضغوط بالتعذيب أو الإغراء أثناء الدراسة عن كثب.

المُمرضَات:

وهي الخطايا الدقيقة التي تتوغّل في القلوب كالغلّ والحقد والحسد والكِبر؛ تلك التي لاحَظ المراقبون دلائلها أثناء المتابعة أو الاعتقال، ويعملون على إذكائها لتُهلِك صاحبَها أو تعزله عن أقرانه وتجعله في أيديهم كالميت بين يدي مغسّلِه.

[5]

التنافس

ويكون التنافس بين متشابهين أو متماثلين في التركيب والوظيفة!! فيدفعُ مزارع الخشخاش عشائر أعدائه في الحقل إلى أن تحارب بعضها بعضًا وتُنهك بعضها بعضًا ويفوز هو بغنيمته ومحصوله!!

يحكي أحمد أمين عن تاريخ تحزُّب المصريين إلى فِرَق متنافسة كلُّ حزب يتعصّب لفريقه لا لشيء إلا لأنه فريقه؛ فيقول؛ وذلك في سنة 1938: "ومن عهدٍ قريب كانت كل قرية تنقسم إلى حزبين: سعد وحرام. وبينهما حروب ومشاجرات، حتى كان الفريق لا يستطيع أن يسكن جوار الفريق الآخر، فأحيانًا يفصل الحاكم بينهما بشارع.. وقد تبرّأ قسم حرام من هذه التسمية؛ لأنه لمّا سقطت دولتهم سُمّي كل لص حراميًا، فكانوا يسمّون في الشرقية التّعامنة... وكان هناك تعصُّب آخر يشبه هذا، وهو التعصُّب لأبي زيد الهلالي وزغبة.. ولما جاءت المدنية الحديثة تعصّب كل فريق لحزبه مع العداء الشديد بين سعدي ووفدي وحر دستوري، من غير عداء في المبادئ، وإنما هو تعصُّب بين الأشخاص من غير مهادنة ولا مسالمة". [قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية: 112-113].

وها قد رأينا بعد أن ألغت ثورةُ يوليو الأحزابَ وَقعَ المصريون في التعصُّبِ بين فِرَقِ الكُرَةِ، وانقسموا بين أهلاويٍّ وزملكاويٍّ!! فلمّا أن تحالفت فرقُ الأولتراس على النظام في ثورة يناير كان لابد من استخدام (طريقة الاستئصال) معهم في بورسعيد -وبالمناسبة فوسائل الإدارة هذه يستخدمها الطاغية مع كل عشيرة تُشكل خطرًا عليه لو تركت لنُموّها الطبيعي؛ وليس مع الإسلاميين فقط.. لكني كتبتُ هذا الفصل لتبيين آثارها فينَا- وقد قضى على الأولتراس بعد الإعداد لعودة التعصُّب الحزبيّ بين (حرية وعدالة) و(نور) وغيرهم، فأنت كل يوم

تصحو على حزب جديد!! وما عاد -في الحقيقةِ- بين الإسلاميين الأشهر فروقٌ منهجيَّةٌ جوهرية اليوم: فكلٌّ صَارَ برلمانيَّ منهجِ التغيير ديمُقراطيَّ الأدْلَجة؛ وإن هي إلاَّ العصبية التي يُذكيها الأمنُ وتنفخُ فيها السفارة الأمريكية؛ من أجل تضييع الجهود في التَّنافسِ والتَّناحرِ رُغم وَحدَةِ الغَايةِ المُعلَنَةِ ونَفَاسَتِها ووجوب سموِّها على الأضغان والأشخاص.

وهناك تنافسٌ آخر بين الأشخاص في الجماعة الواحدة؛ كما هو حال التعصُّب بين الجماعات..

فأنت ترى الشيخ فلان يُعادي فلانًا، والأستاذَ الفلانيَّ يشترطُ للجلوسِ أن يغيب فُلانٌ عن الجلسة؛ كل هذا من ثمرة تركهم آذانهم لعملاءِ النِّظام - والنظامُ لم يسقط بالمناسبة- ينفثُون فيها سموم البغضاء والغلّ بينهم وبين إخوانهم ورفقاء دربهم.. والعجيب أنك ترى الشيخَ الجليلَ والأستاذَ الكريمَ يُصدّقون السُّوء في رفقائهم إذا سمعوه من طرفٍ واحد دون تثبّتٍ أو تريُّث؛ ثمّ هُم دائمو تذكير أتباعهم الثائرين بضرورة حُسن الظن في الكبراء والْتماس الأعذار!!

فنقول لهم: هلاّ الْتمستُم الأعذار لإخوانكم وحكمتُم بالعدل بعد سماع الطرفين أولاً قبل نصيحتكم لنا فنتابِعَكُم فيها -وإنّا لمتثبّتُون لما نقول!!- وهكذا يستعينُ شياطين الإنس بغلِّ الصدور وأمراض القلوب على التعقيم القيادي والفكري دون جهدٍ أو عناء.

[6]

الاستئصال

وآخرُ الدواءِ الكيُّ..

فحين يتأكد الخبراء المراقبون أن جماعة ما يغلبُ عليها طابع الصدام وينتهج أفرادُها الإباء منهجًا ويسلك قادتها المفاصلة عن الطُّغاة سلوكًا أو يضلُّ سعي الخبراء في إدارتها مع عظيم خطرها على الجاهلية؛ فإنهم لابد لهم من الانتقال من الإدارة إلى القمع والصدام والحرب الإباديّة العلنية مع كثير وكثير جدًّا من الافتراس الإعلامي وليس مجرّد التشويه.

تمامًا كصاحب مزرعة الخشخاش حين تستعصي آفاتُها على إدارته فإنه يأمر عمّاله فيرتدون رشاشات المبيد القاتل على ظهورهم، وينزلون الحقل يشبعونه بالسمّ يُبيدون كل ما فيه من حشرة تضرب بجناحها وتَطِنّ..

ولكن لا بأس.. إن طائفة الحق لن تُستأصل أبدًا حتّى يُقاتل آخرها الدجّال

﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

[7]

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود:١١٣]

فَمِن..... -لا أدري من الغباء أم الغفلة أم من الدناءة أم من خليط من كل هذا- فممّا سبق يتبيَّن حقيقة أن الأنظمة الشمولية لا تفسح المجال إلا لما يتقارب معها ويتآلف ويهادن ويشترك ويُطيع!!

"فلقد حارب الاستعمار الغربيُّ كل مقوّم حقيقيّ من مقومات الإسلام، وإن تظاهر بالإبقاء على المظاهر المموّهة التي لا تقاومه ولا تُكافحه" [طريق وحيد: مقالة لسيّد قطب في مجلة الإخوان المسلمين 1954]

كتبتُ في هذا الفصل وشَهِدتُ ونقلتُ لأضع نقاطًا على حروف الواقع المرّ.. لا لتيأس ولا لتنفر أخي القارئ.. ولا لأشمت ولا لأبُثَّ أحقادًا.. ولكن لتمسح -أخي- مِنظارك وتُعيد التحسُّس لموضع قدمك وتختار أقوى النقاط لخندق نضالك..

فإذا رأيت أخي الحبيب قادتك يُجالسون الطُّغاة ويضاحكون سفراء الاستعمار فاعلم أن الزمان زمان استبدال وحراك لا زمان تمكين وسيادة؛ وأن الطريق لا يزال طويلاً طويلاً.. فانظر أين الحق؛ والحق لابد في كنف من لا يتنازل عنه ولا يُهادن فيه.. لا تستعجل وتجري إلى جمع الغنائم مع الجامعين فيُغير الفرسان على جبل الرماة!! إن ما نحن فيه ليس شبيه بدر أخي الحبيب؛ بل شبيه أحدٍ وحُنين.. إن ما يُطعمونه الناس ليس عسل الإسلام الصافي بعزّته وصولته، بل عسل مدسوس فيه المخدِّر.. عسل الخشخاش..

فانظر الثابتين وكُن في ركابهم..

أو كُن المصلح الصادع بالحق في جماعتك ووسط إخوانك..

كُن للحق تُهدى وتُنصَر.. ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩].. أعلنها مدويّةً قويّة ليست من أجل شخصٍ ولا جماعة.. بل من أجل نجاة نفسك في طريق عزّ الإسلام..

اصرُخ بها: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود:١١٣]..

فإن التمكين لا يكون في كنف النَّتِن ولا يُؤتاهُ الخائنون.. أبدًا..

إن عسلَ الإسلام صافٍ نقيٌّ لا خشخاش فيه!!

وإن من يعلو مع الباطل سافلٌ مثلُه لا فرق.. وإنما علوُّ أهل الإيمان بإيمانهم وإن كانوا ضعفاء: لا بمحالفتهم للباطل وعمالتهم له..

وقد نَهى اللهُ فانتهوا!!

﴿إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة:٩]..

فإن من يضع يده في يد الطُّغاة اليوم: إمّا أنه لم يُعذَّب يومًا فهو دَعِيٌّ اضطهاد كادّعاء اليهود في المحرقة!! أو أنه عُذّب بالشرّ فلمّا جاء بعضُ الخير فُتِن به فافتُتِنَ وصار من الظالمين!!

﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥].

الباب السادس
تمهيدٌ للحَلّ

المقامة البَكبَكَاكِيَّة!!

[كُنْ دجاجة.. ولكن]!

دجاجةٌ تأكل الحَبَّ بكلِّ امتنانٍ وحُبّ..

وتُطلق أصوات الرِّضا؛ فتملأ بصوتها الأفلاك:

(بكبكاك.. بكبكاك.. بكبكاك)..

وكلما علَت (بكبكاتك) الراضية رَضِيَ عنك صاحب (العِشَّة) وأعطاك من جوالِه (قَشَّة)!!

وربما -مع استمرار بَكْبَكَاتِك- أن يمنحك (المِقَشَّة)..

فتهش بها أعداءك كل واحد (هشَّة)..

بصفتك من (حاكِمِي) (العِشَّة)!!

...

فإذا أيقظك من نومك قرصُ (القمل) وتذكرت قبل أن يأكلك (النَّمل):

أن ذلك (المنقار) الذي يزين وجهك وتلتقط به (الحَبّ)؛

قد ينفعك في (الوخز) و(الخدش) و(الضرب)..

ستجد أنك قد أصبحت (دجاجة إرهابية)، (مفترية)، و(غير حيادية)..

وربما أيضًا (دجاجة رجعية وهَّابية) وبلا (مرجعية)؟؟!!

وأصبح من الضروري أن يتخلص القطيع من شُرورِك..

وأن يتقي وَبَال نُفُورِك..

فستجد حينها أن ريشك صار غرضًا للناتفين..

ولحمك أصبح هدفًا لحاملي السَّكاكين..

وهي قطعًا في أيدي المُخلِصين!!

والمطبِّلين أولاد الَّذين!!

وهذا -بالطبع- من أجل مصلحة القطيع؟!

وعقابًا لنقرك الشنيع؟!

..

فنصيحةٌ لكم أيتها (الدجاجات) المُثلَّجة..

كونوا (دجاجاتٍ)؛ ولكن غير (مُدجَّجَة)!!

وتناسوا أن (النَّقرَ) من وظائف (المِنقَار)!!

حتى لا يطالُكم الذَّبحُ والشَّيُ في النار..

..

وتلك في الإجمالِ نصيحةُ (الجزَّار)!!

أو هي نصيحةٌ من (حِمار)!!

..

وأحب أن أضيف..

حقيقة بلا مَرهَمَةٍ ولا تَلْبيفْ:

أن الريش هشٌ..

وهوَ من النَّفش!!

وما سبق وصفٌ لدَيدَن أربابِ العشش..

من أصحاب المَيلِ والغَشَش!!

..

وتبقى الدُّيُوك النَّاقِرة الفُحّ..

هي التي تصيح كل صُبحٌ..

ولا يُوقِفها إلا الذَّبح..

ذلك أن الله تعالى قد خلق فيها خاصية فريدة:

وهي أنها ترى ما لا يراه البشر!!

فترى نور الصبح قبل أن يُحسه الإنسان..
وترى الملك فتفرقه عن الشيطان!!

..

وخيرٌ من الدُيوك الأسودا!
فللأسد مخالبٌ تخمِش.. وأنيابٌ تنهش!!
فهو ليس في حاجةٍ لمنقار.. لأنه أصلا من (الأخطار)..

..

وأما الدجاج البائس..
فمالكُ العِشَّةِ عليه دائس..
وخُذوا الحِكمة من أفواه (البكابيك):
وبالطبع لا يزال للدجاج أملْ..
ولو برَك على عشَّتِه ألفُ جَمَل!!
وأقول من بحر الرَّاب..
كواحدٍ ممَّن غادر العشَّة وكسرَ الباب:
احنا (بطيابه) بَقِينا (فرَاخ)..
بس لِسَّه فينا (مُخاخ)!!
وإذا نَفَخ ريشو (النُّفَاخ)!!
راح نُنقُر راسُو بْـ (مُنفَاخ)..
وعجبي..

وفي قُرب خِتام المقامة الفَرَخَاويَّة:
لابد لك أخي من تحية بلا مِكاكِيَّة !!

فأنا أسأل الله لك (منقارًا) قويًا..
و(ريشًا) أبيض طريًّا..
أو تكون من خيرة ذوي (المِقشّات)..
وأن يُصلِحَ اللهُ لكَ ما هو (آآآت)..
دُمت بكل وُدٍ.. بلا تَكْتَكَات 😁

..

وختامًا إذا أردتَ مزيدًا..
وكُنتَ في الإصلاح شديدًا فريدًا..
فأهلا بك يا غضنفر..
والليثُ في الغابِ لا ينقر بل يزأر!!

..

أما بعشّتِنا الأثيرة..
فحِرفةُ النقر: خطيرة!!

..

إذ تتيح لمنزوعِ السلاح..
أن يُعيد ما افرنقعَ وساح!!
كي تعمَّ الأفراح..
وتأتي الليالي المِلاح!!
وهُنا أدرك الدِّيكُ الصباح..
فأذَّن ثُمَّ ولَّى ليرتاح 😁!!

مَسْ/كات

[1]

مَسْـكَات..

[جمع: مَسْكَة بمعنى عَقْقَة أو تَقْيِيدَة]

منذ عقدين تقريبًا سمعت أن مقرّ "الحزب الوطني" في حَيّنا قد أعلن عن دروسٍ في "فنون القتال العسكرية الأمريكية Marshal Arts"..

ذهبت ولم أدرِ حينها أن الأمر فَرْزٌ واسِعٌ ليُنتقى من بيننا "بلطجيّةٌ مؤهلون" لحراسة مصالح النظام وقمع معارضيه!!

وقد مَنَّ اللهُ علينا فاختلف المُدرِّبُ نفسُه مع مسؤولي الحزب ونقل التدريب إلى نادٍ آخر شريف!! فاستكملنا تدرياتنا هناك!!

ما علاقة هذا بالكتابة ها هُنا وما علاقته بالـ"مَسْـكات"؟؟!!

علاقتُه أنَّ أحدَ أقسى التدريبات كان تدريب "كيف تتخلُّص من المَسْكَات"!!

حين يُمسك بك أحدُهم من ياقة القميص!! أو حين يمسك بك من الخلف ويضغط على رقبتك ويخنقك!!

أو حين يمسك بك من وَسَطِكَ ليرفعك عاليًا ثم يثني ركبته ليطرح ظهرَك عليها فينكسر!! وهكذا..

كان المدرب يعلّمنا في كل حالة كيف نتخلّص من كل "مَسْكَةٍ" منهم: لنقلب الوضعَ على من يُمسك بنا ونكسر ظهره، أو نُحطِّم رسغه أو كوعه أو ضلوعه، أو نخلع رقبته!! وهكذا.. لم نفعل بالطبع لكن تعلّمناه!!

حينها علمتُ أن الصادق في تعليمك الدفاع عن: نفسك، أو جماعتك، أو مجتمعك هو الذي يعلِّمُك كيف تدافع حتّى تتمكّن من عَدُوّك!! لا الذي يخدّرك تاركًا إياك جاهلاً بكل شيء إلا ما يزعم أنه سيلقّنك إيّاه ساعة المعركة!! ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [ص:٣]..

الصادق في تعليمك الدفاع هو الذي يعلمك الهجوم ويفهمك أن "الانتصار" و"التمكين" نتيجة "التّدافُع" و"النِّضال": لا الاستسلام لماسِكِيك وخانِقِيك وقاتِلِيك.. وبالتأكيد فإن الصادق في تعليمك الدفاع عن نفسك ليس هو الذي يعلمك كيف ترضخ لإملاءات عدوّك وتترك روحك في يده يُزهقها!!

قال تعالى لنبيّه صلى الله عليه وسلّم معلمًا إيّاه وإيّانا كيفية الدّفاع: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال:٥٨]..

فليس في الإسلام خضوع الخائف.. ولا ترقُّب التّائه!! بل مدافعة الثّابت ومغالبة القويّ ومبادرة الحازم العازم..

[2]

مَسْـكات..

[جمعُ: مَسْك mask؛ وهو القِناع]

كنّا قبل الثورة في سياسة قذرةٍ قبيحةٍ واضحةٍ بلا تجمُّلٍ.. فمبارك يحتضن رؤساء وزراء إسرائيل واحدًا تلو آخر كواحدٍ منهم، وحاخام إسرائيل الأكبر "عوفِديا يوسف" يُصلّي من أجله، ووزراء الخارجية الأمريكية واحد تلو واحدة ينعتونه بـ "صديق أمريكا المقرّب".. كانت قذارة سياسية بلا أقنعة.. قذارة تراها وتعرفها ويميّزها كل من كان له عقل!!

أما اليوم فيا لسوق الأقنعة السياسية الذي نعيش فيه!!

فالعسكرُ يرتدون مَسْكَ العسكريّة الخشنة.. ثم يُنشؤون مصنعًا لـ"حلاوة بالفياجرا" لخُلّص قادتهم لزوم القُوّةِ النّاعمة!!

ويرتدون مَسْكَ "حماية الثورة".. ويذبحون أبناءها ودُعاتها على قارعة الطريق!!

ويدَّعون أنهم "على مسافةٍ واحدةٍ من الجميع".. فيحمُون كنيسة الفلول يوم حصار الكاتدرائية سلميًا، بينما يقتحمون مسجد شيخِ الثُّوّار (مسجد النور) لاعتقال متظاهري أحداث العباسية!!

أو كوكيل أول مجلس شعب بعد الثورة الذي يرتدي مَسْكَ "السلفية".. ثم يُطالب بمحاكمة من أكثرهم سلفيّين عسكريًا (معتقلي أحداث العباسية)!!

وكثيرٌ يختفي خلف مَسْكَ "حياديّة الشُورى".. فيختار من يستشيرهم من خُلّص رجاله وموافقيه!!

وذلك الذي يضعُ مَسْكَ "الإخوان" ثمّ لا يؤاخِي إلاّ من سار على هواه!!

ومن يضعُ مَسْكَ "الإخوان" أيضًا.. فيعمل بكل طاقته لإعادة سيناريو ذبحهم كما جرى منذ ستين سنة بحذافيره!!

ويا لعجبي مِمّن يرتدي مَسْكَ "الاضطهاد المسيحي".. ثم هو قد أيّد "الفريق شفيق" مرشّح النظام الذي ادّعى أنه اضطهده طوال ثلاثين سنة!!

بل وكثيرٌ يرتدي مَسْكَ "اليسار".. بينما يعيش "برجوازيًّا" في يسار الحال وفي نعيم الريال والدولار!!

وقميءٌ يضعُ مَسْكَ "الليبرالية" ثمّ يلسع مخالفيه بـ"حمّالاته" ويُصادر حرّيتهم في الاعتقاد، وحقّهم في ردّ بهتانه إذا كانوا ذوي لِحى تُشوِّك نعومته المعهودة!!

كل هؤلاء وغيرُهُم يضعون "مَسْكاتٍ" نضالية، ويَرُشّون على قذاراتهم "مِسْكَ دَجَلِ الإعلام الزّائف"، مع حرق بخور "الشاي بالياسمين"، ولا مانع من مسح دماء ضحاياهم في ملابسهم لتبدو كأنها دماء نِضَالِهم!! وفي غمضة عينٍ إذا هُم مناضلون ثائرون معارضون ذوو تاريخ!!

بل والعجيبُ تلك المَسْكات التي يضعونها على وجوه الناس قسرًا!!

فيُلبسون السِّلميّين مَسْكَ البلطجية، ويُلبسون ميليشيات "البلاك بلوك" العسكرية مسك السلميين، ويُلبسون القائم لله بحقِّه مَسْكَ طالب الرئاسة.. وهكذا..

وفي مولدِ المَسْكَاتِ هذا.. تقفُ في تظاهرة فترتاح لأراجيز الأولتراس الحماسية في الصفوف الأولى فإذا دخلت وسطهم وجدتهم ليسوا أولتراس!! بل أمنجية تقنّعوا بقناعهم لاستثارة الجنود في الطرف الآخر وبدء الضرب بسابق اتّفاق!! ويرتاح قلبك للملتحِ بجانبك وسط الضرب فإذا هو عميلٌ شهير!! إن عدوًّا تعرفه خيرٌ من صديق لا تعرفه!! ومَسْكَةٌ من عقلٍ لدى المتأمِّل يُدرك بها حقيقتهم.. فإنما نعرف الناس بثمراتهم ولو ارتدوا ألف قناع!!

إنّ هؤلاء جميعهم مُسكِيتيرز Musketeers لكن بلا مُسْكِت -وهي البندقية العتيقة أحادية الطلقات- وإن كان في أيديهم خناجر يطعنون بها في الظَّهر!!

[3]

مِسْ كَات..

[الآنسة سِنَّوْر Miss Cat]

حين تخلَّف عن الميدان من صُورُهُم كَصُوَرِ الأسودِ نزلت الميدان القِطَطُ الرَّقيقةُ.. تلعقُ الجراحَ وتخيطُها بمخالبها الضعيفة، وتردُّ قنابل الغاز إلى مرسلها تُلاعِبها كَكُرات الخَيْط.. فتشاغِبها كلابُ العسكرِ الضالّة وتنبحُ عليها وتخمشها ولو احتَمَتْ بالمساجد!!

إنّهن فتياتُ العباسية.. من نَزَلْنَ الميدان يُداوين الجَرحَى لزولَ الصَّاحباتِ الأوائل ميادينَ القِتال؛ فارتفعَ قدرُ نعالِهنّ فوق هامات مخنّثي الذكور حين تركوا إخوانهم يُذبَّحُون على الهوية بانعدام دمٍ بارد!! فقام المخنّثون يُطالبون بمحاكمتهنّ عسكريًا مع من داوَيْنَ جراحهنّ من أسود!!

أي ذكورةٍ يدّعيها أسدٌ مخنّث نَزَعت عنه صولةُ القِطَطِ الأليفة قناعَ الهيبة المزعومة وادّعاء الخوف على الدماء والأعراض..

من خاف على الدماء والأعراض فليُسارع بحمايتها وصيانتها لا ببيعها بالسُّكوت عنها أو بفتاوى وتصريحات رخيصة تُبيح للهمجيّين من عسكر النظام والمرتزقة سفكها وانتهاكها!!

ألم يكُن رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- أسرع الناس إجابة للمستغيث!! فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: ذُكِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً فَانْطَلَقُوا قِبَلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَنْ تُرَاعُوا (يَرُدُّهُمْ)" [البخاري 6033].

انطلقوا يستطلعون الخبر فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلّم عائدًا بسلاحه يُطمئنهم وقد ركب فرسه بغير سرج.. فأين المبادرون للنصرة.. بل للاستطلاع من كبارنا.. أين.. سبقهم "مِسْ كَات"؟؟!!

*

[4]

مُسْـكَات..

[جمعُ مُسْك Mosque وهو المسجد]

فمنذ بدء الثورة والمساجد تشتكي دُعاتها وشبابها إلى الله أنَّهم هجروها أو هجروا أعمالهم القديمة فيها؛ بحجّة أن السياسة واجب الوقت!! فهل هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد أو هجر مهامّه فيه لإدارة الدولة أو حتى لتعبئة الجيوش، أم إنه أدار الدولة وعبّأ جيوشه في قلب المسجد!! حقيقة إن سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلّم كاشِفةٌ!! كاشِفةٌ لنا ظُلمة الطريق تُنيرها فنتلمّس على هُداها الهُدى؛ وكاشِفةٌ لنا كذب كل كاذب في دعواه!!

ولا يقرّ للانزلاق قرار حتى يستقر صاحبه في القعْر!! فها هو المسجد المهجور الذي لم ينصُر أحدٌ بانيه الشيخ "حافظ سلامة" على احتلال الأوقاف له - مسجد النور- قد اقتُحِم بالبيادات، وأُطلِقَ فيه النارُ، وخُطِفَ منه المُصلُّون رجالاً ونساءً ومنهم الجريح والمعاق والشيخ الكبير والطالب الذي فاتته امتحاناته بسبب الاعتقال!! فمن تحرّك من هاجري المساجد لنصرة أهلها الذين لا يزالون يعمرونها؟؟ لا أحد..

وبما أن الخطاب الإسلامي قد انحصر الآن وتقَوْلَبَ بقالب وطني ضيّق فأقول على قول المُنادي في فيلم "عروس النيل": "عووووودي يا هاااااميس"!! "عودي أيتها الصحوةُ إلى مساجدك.. فإنها تشتكي"!!

[5]

مَسْـ / كاتـ

[مسجد / كاتدرائية]

قرأت أن منطقة "الموسكي" سُمّيت بهذا الاسم لأن الذي أنشأها هو الأمير المملوكي "عِزّ الدين المؤسِّكيّ".. وكذا قرأت أنها سُمّيت كذلك لأنها كانت معسكر خيّالة الفرنسيس أيام الحملة؛ فوقف فيها قائدهم يخطبُ في عسكره ليقمعوا ثورة علماءِ الأزهر وطُلّابه على الاحتلال الفرنسي.. وبعدما حمّسهم لقتال الثائرين قال "à la mosquée" يعني "إلى المسجد" بالفرنسية.. حيث توجّه بخيّالته فاقتحموا الجامع الأزهر وسفكوا دماء ثائريه داخل أروقته..

هكذا كانت الثورات وهكذا كان أولَى الناس بالثورة والانتفاض أيّامها العلماء وطُلّاب العِلم!! لكن قضيتنا في هذا الفصل ليست تلك!!

بل قضيتنا هنا تلك المفارقة العجيبة بين تعامل حُكّام العسكر مع المسجد والكنيسة!!

فرُغم أنهم حُكّامٌ مسلمو الأسماء والألساب إلا أنهم يدعمون الكنيسة ويحمونها، ويُهينون المسجد ويقمعون أهله!!

فهذا جمال عبد الناصر الذي ذبح الإخوان وألغى المحاكم الشرعيّة وجعل شيخ الأزهر بالتّعيين وأقصى الإسلام عن الحياة؛ قد أنفق 6 مليون جنيه من خزينة الدولة على بناء الكاتدرائية المرقسية بالعباسية -وما أدراك ما 6 مليون جنيه في أواخر الستّينيات- ولم يُنفِق شيئًا في تجديد الأزهر؛ حتى حضر جيلُنا بعض التجديدات غير الكافية ونحن بعد في أواخر التسعينيات!!

وهذا السادات رُغم تسمّيه بـ"الرئيس المؤمن" إلا أنه حين فتح المجال للإسلاميين، فقد فتحه ليضغط بهم على التنظيمات الشيوعيّة المتبقيّة من عهد عبد الناصر: لا حبًا في الإسلام ولكن تفريقًا من أجل السيادة -وهو الذي

مشى على خُطى عبد الناصر ولكن بأستيكة!!- وحين عادى الساداتُ الكنيسة لم يُعادها أيديولوجيًا ولا إثنيًا بل عادى "شنودة الثالث" عداءً شخصيًا -لأنه كان يُعارضه علانية- وأسفر هذا العداء عن عزل "شنودة" ونفيه لوادي النطرون مع تولية مجلس خماسيٍ لإدارة الكنيسة من موالين أو مهادنين للرئيس المؤمن!!

وإذا كان عبد الناصر هو الذي بنى الكاتدرائية المرقسية واستضاف إمبراطور الحبشة هيلاسيلاسي استضافة أسطوريةً أثناء افتتاحها؛ فإن مبارك هو الذي أهدى شنودة ذلك البرج الحصين فيها!! لأنها بُنيت أولا دون بُرج فأضافه مبارك في عهده الميمون -ميمون: أشهر اسم قرد في ثقافتنا الشعبية- ولن نستفيض في تمكين مبارك لكوادر المسيحيّين من مفاصل الدولة -مع تضييقه على الإسلاميّين ولو كانوا أكثر كفاءة- يكفينا مثالٌ واحد كالخائن سليل العملاء بُطرس غالي مثلاً فقد صار تصنيف "الكنيسة الأرثوذكسيّة" تحديدًا على أنها إحدى أكبر مؤسّسات الفلول الباقية معلومٌ من الثورة بالضرورة!!

العجيب أنه بعد الثورة وفي إبريل 2013 اعتبر مرمي الاعتداء على الكاتدرائية اعتداءً عليه شخصيًا، رغم أن أحدًا لم يعتدِ على الكاتدرائية، بل شبابها قد اعتدوا على المارة وأهل العباسية -حتى الأرثوذوكس منهم- وبأسلحة نارية تبدأ ببنادق الموسبيرج -جديدة وليست ميري- وفرد خرطوش وطبنجات 9 مللّي ذات رصاص حي!! والشبكة العنكبوتية تطفح بتسجيلات مرئيةٍ لهؤلاء الإرهابيين على سطح الكاتدرائية يوجّهون أسلحتهم خارجها، ويطلقونها في المليان تنفيذًا لتهديد محامي الكنيسة "نجيب جبرائيل" قبل دقائق في هتافه على باب الكاتدرائية: "انسَ القبطي بتاع زمان.. بكرة هنضرب في المليان"، ولم ينتظروا لبُكرة!! فيبدو أنهم يريدون إدراك لحظة الانبطاح الفارقة!!

ليست مقارناتي هذه إذكاءً للطائفية ولا تفريقًا لاجتماع المصريّين على راية الثورة، ولكنها محاولة لفهم أين نحن من موازين القُوَى، وتحليلٌ لأسباب تخلُّف العُنصُرِ الأكبر عن الأصغر في بلدٍ صار بلد الألف بُرجٍ لا الألف مئذنة!!

فهل كان دعم الغرب والحكومات المصرية المُتتالية للكنيسة هو السبب الأوحد لازدهارها كـ"دولة داخل الدولة" وكـ"لوبي ذي ذراع دولي ضاغط = أقباط المهجر"، على مجريات القرار المصري داخليًا وخارجيًا عبر ستّين سنة: أم إن هناك أسبابًا أخرى؟؟!!

معلوم بلا شكّ أن الطُّغاة يختارون من يُشاركونهم: فينتقون الأقوياء الميكيافيلّيّين -ألا تتشابه كلمة "فِل" مع "ميكيافيلّية"؟؟- أو من فهم منفعة أو موافقهم..

فماذا وجد الطُّغاة في الكنيسة ليهتمُّوا بها ويوالوها ويتركوا المسجد؟؟!!

لن أجوس في أشياء كثيرة ولكنّي سأتكلم من وجهة واحدة؛ سأتكلم من وجهة "الكِيان" وتوغُّله وسيطرته، وسأترك وجهات أخرى: مثل "طاعة الأتباع" وغيرها.. فـ"طاعة الأتباع" موجودة في كيانات إسلامية اليوم أدّت إلى اتجاه العسكر لها والتحالف معها وإدارتها بدلاً من قمعها وقد كان..

إن الكنيسة حين رأت الحال في بداية الثورة منفتحًا على البناء طاردًا للمعارضة أغلقت على كوادرها بابها وانكبّت على البناء!! في حين أفسح لها المجالَ التنافسيَّ قمعُ السلطة للإسلاميين حينها فاستمرّت في التمدُّد والتغلغُل في مؤسَّسات الدولة والقرب من صنع القرار فيها..

المهم هُنا إيمان قادة الكنيسة بفكرة "البناء المؤسَّسي" كوسيلة للوصول إلى "الأمة القبطية" - المزعومة - المنشودة؛ ورؤيتهم أن "الأمة" هي مجموعة من المؤسسات يحتاج بعضها لبعض ويُكامل بعضها بعضًا.. ولا تقوم كلّها إلاَّ بأجنحتها متكاملة.. فمضوا يبنون الكنائس يجمعون فيها شتات شعبهم،

ويموّلون عاطلهم، ويعلّمون جاهلهم، ويعالجون مرضاهم، ويؤوون شريدهم ومُسنّهم، ويرفعون خسيسهم، ويزوجون أيّمهُم، وينفون خائنهم، ويصطادون ضعفاءنا!! وهكذا استمر البناء حتى عَلّت مؤسّسات أمّتهم "المزعومة"، وأوغلَت، فظهر استئسادُ الكنيسة جليًّا واضحا مؤثرًا في الحياة السياسية في عهد مبارك؛ حتى أوشكت أن تفرض رأيها على النظام فلسعها بكرباج كنيسة القدّيسَيْن..

بل صارت الكنائس من الأهمية بمكان حتى حماها السلفيون أثناء الثورة، وهُم الذين لم يحموا مسجد القائد إبراهيم بعد الثورة بسنتين من اعتداء المعتدين على شيخه ومرتاديه!!

وهذه الفكرة -النهضة المؤسّسيّة- كونيّة منذ الأزل لم تُفلح جماعة في بناء مجدها إلا بها!! وقد تحدّث د. محمد عمارة عن دول الخلافة العضود الأولى فقال: "فالدولة كان حجمها محدودًا، كانت تقودُ الجهاد، نعم، لكن الذي يصنعُ الحضارة الإسلامية والدِّفاع عنها كان هو التمويل الأهلي: من الأوقاف، تبني المساجد، والمكتبات، والمدارس، ونسخ المخطوطات" [المؤسسية والمؤسسات في الحضارة الإسلامية: 48، 49]..

وهذا تحليلي لموقفٍ شهدتُه.. فقد كنت في تلك المسيرة التي خرجت من مسجد الفتح في رمسيس إلى مسجد النور بالعباسية فتوقّفَت أمام الكاتدرائية وأبَتِ الحِراك "الجمعة 29 أبريل 2011" وكانت للإفراج عن المسلمات المعتقلاتِ في الكنائس، ورأيتُ الشرطة العسكرية ولاحظتُ التحريات العسكرية بيننا يحمون الكاتدرائية من أي عمل عدائي متوقع!! هُم هُم "رجالُ "حمدي بدين" و"عبد الفتّاح السِيسي" الذين اقتحموا مسجد النور على بُعد أمتار بعد عام ليعتقلوا من فيه من مُصَلّين رجالا ونساء في أحداث العباسية الشهيرة!!

لقد كانت حماية العسكر للكاتدرائية يومها - رغم انعدام وجود أي خطر عليها - أشبه بحماية سفارات الدُّوَل.. ولقد كان اقتحامهم المسجد يوم العبّاسية أشبه بمداهمات الغُرَز وأوكار المجرمين!! ولقد كان ترك قوات الداخلية لبلطجية النصارى والعالمانيين يحاصرون مسجد القائد إبراهيم في شهر ديسمبر 2012 دليلا قاطعا على أي دار عبادة تقدِّسها الدولة وتحميها!!

وإذا غاب وازع الدين وناصح العقل عن عقول الجنود وهم يقتحمون المسجد؛ فإن سلطان قوة الكنيسة وسطوتها لم يغب عن أذهانهم ولا حتى عن أذهان المتظاهرين يوم الكاتدرائية قبل عامٍ من الفاجعة!!

ولقد صَرَفَنَا من أمام الكاتدرائيّة يومها د. ياسر بُرهامي ود. محمد عبد المقصود وحالا بين الشباب وبين الاعتصام.. وبصرف النظر عن صحّة الانصراف يومها من عدمه فقد صَرَفَانَا فارغِين!! بدلاً من أن يتفاوضا باسمنا مثلاً مع الأساقفة لإطلاق الأخوات الأسيرات؛ ولم نجنِ أي مكاسب من المسيرة وضاع ذلك الجهد هباءً.. بينما رسّخ انصرافُنا -بخُفَّي حُنين- جذور تسلّط الكنيسة أكثر وأكثر.. فقد كانت جذورها تتخلع بعد الثورة لموقفها ضدّها.. ولكن أتت الضربةُ التي لم تقْسِمها فقوَّتها.. وأبدى ذلك الموقفُ للعسكرِ أن اجتماعنا لا بقاءَ له، وأن مطالبنا لا يُناضل من أجلها كبراؤنا؛ فكان سهلاً عليهم ذبحنا على بُعد أمتارٍ بعد عام واحد.. وهذا الموقف من ذلك ولا شكّ!!

كل هذا يعني أن من أراد الهيبة والمجد والسؤدد والتمكُّن فليس عليه أن يُنافس من أجل مؤسَّسةٍ واحدةٍ من مؤسَّسَاتِ الأمّةِ وهي "الدولة" أو "الحكومة" أو سمّها "النظام" -وإن تعدَّدت مؤسَّساته الفرعية من برلمان ووزارة وغيرها- ولكن من أراد التمكين فعليه أن يبني ويعمّر وينطلق ليؤسِّس في تؤدة وهِمَّةٍ، دون تخلٍّ عن الحراك الشَّارعي أينما وحينما يتوجَّب!!

إن النظام يُلهينا ويقطع أنفاسنا بالجري وراءه في الشوارع وهو يبني نفسه من جديد!! فلقد دخلت مصرَ 150 مدرعة جديدة مُصمَّمةٌ للعمل في الشوارع ومجهَّزةٌ بمدفع نصف بوصة، وملايين الخراطيش والرصاص المطاطي، وتم تسليح كل ضابط شرطة -حتى العاملين في المرور- بطبنجة وخنجر أنيق متطور متعدِّد المهام!! فهل هذا نظامٌ قصير النَّفس يسقط بالحراك الشارعي فقط أم إنه أخطبوطٌ مؤسَّسي كبير يحتاج ندًّا له ولو بعد حين؟؟!!

لن ينكسر النظام إلا بإعادة البناء مع الخلخلة.. حتى لو كان البناء والخلخلة بالتَّوازي وليس من داخله كما فعلت الكنيسة.. وهذا واجبُ المرحلة..

« ولَكِنَّكُم تَسْتَعْجِلُونَ » [البخاري 3612]..

لقد بدأ الإخوانُ المسلمون قبل الكنيسة الأرثوذكسيّة في مسألة البناء المؤسَّسي؛ لكن الضربات الأمنية المتتالية لم تكن السبب الوحيد في عرقلة مسيرتهم.. ولكن تركيز أهداف الجماعة الاستراتيجية في الوصول لمؤسسة "الدولة" وحدها دون غيرها من مؤسسات؛ بكلِّ سبيل ممكن أدَّى لانحراف النتيجتين.. وذلك رغم اجتهاد الجماعة في المؤسسات الأخرى؛ لكن الشأن شأن الهدف الأعظم.. وربما غاب مفهوم أن علوَّ الحق لا يكون دومًا في الوصول للكرسيِّ الأعلى منذ البداية؛ لأن فكرة "البنَّا" الكُبرى كانت إعادة دولة الخلافة من جديد وليس إعادة بناء الأمة كلها..

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى سطوة العز بن عبد السلام وقد كان عضوًا في مؤسسة "العِلم" لا مؤسسة "الدولة"؛ حتى قال بيبرس لما رأى جنازته أسفل سور القلعة: "الآن قد استقرَّ مُلكي"!! أين هذا من تبعية كثير من منسوبي مؤسَّسة "العلم" لمؤسسة "الدولة" اللآن وسباحتهم في فلكها؟؟!!

"ومتى نبني مصنعًا نستغني فيه عن إنتاج الشرق والغرب؟! ومتى نؤسس شركة تستثمر أموال المسلمين المكدَّسة التي لا يعرفون كيف يستثمرونها، ونتيح

فرص العمل لمئات من الشباب الجامعي؟! بل متى يكون عندنا مؤسسات علمية تشجع الإنتاج العلمي في كل شيء، وتستفيد من طاقات العلماء والخبراء في شتى فروع المعرفة، ويجد المبدعون بواسطتها طريقًا لتحقيق إبداعهم؟! فالأصل هو البناء وبناء المؤسسات" [محمد العبدة بتصرف- خواطر في الدعوة جـ1: 47،48]

[6]

فيا معشر المصريين من الثوّار وغير الثوّار.. إلى بناءٍ شامل لكافّة المؤسسات: علمية، وتربوية، تجارية، صناعية، سياسية، زراعية، رياضية.. إلخ.. فهذه جمعية أهلية، وتلك مؤسّسة وقفية، وتلكم شركة، وهذه مدرسة، وهذا معهد. ابنوا بروح الإسلام الشاملة التي تبثُّ الكرامة والتمسُّك بالحق.. تلك الروح التي أوشك على الفلاح من أخذ منها جانبًا كخير الدين التونسي - على ما فيه - وابن باديس وسيد قطب.. ولكنها لا تسود إلا شاملة كاملة.. فبهذا وحده نسود ولو حَكَمَنَا الأراذلُ.. لأن المؤسّسيّة في العمل تمنع تحجيمه أو تحدّ منه ولو بإفساد القيادة أو ضرب الأجنحة..

لقد وفّق الله أهل الهمّة والغيرة فجمعهم في الميدان ليتعارفوا ويختلطوا ويبتلوا بعضهم بعضًا.. فلا تُضيّعوا الفرصة وتشبّثوا ببعضكم وانهضوا وأسّسُوا وابنُوا.

قد تقول أن الخيال قد جنح بي بعيدًا!!! لكن من قال أن ما قرأتكم عنه في التاريخ من عزٍّ لم يكُن يومًا "خيال حالم"؟؟!!

ولستُ ها هُنا أدعوكم لترك الميادين لتدور عجلة الإنتاج.. فإني قد آمنت أن ماكينة الإنتاج نفسها سلاحٌ فاسد!! ولكنّي أدعوكم لحبس بعض قواكم وعافيتكم وهمّكم في إعادة بناء مصر جديدة.. في إنتاج ماكينة إنتاج جديدة!! تكون نواة نهضة الأمة.. الأمّة المسلمة..

لمحة!!

لو عادت الجمعيات الاستهلاكية توزع شيئا على الناس بالمجان؛ لأنهم لا يستغنون عنه لكان "الأقنعة"!!

مُستَقِيلٌ

إليك أخي القابض على الجمر..

أسائِلُكَ لِمَ تأخر النصر ولم يأتِ الفرج..

أهمسُ في أذنيك.. فنصيحة الملأ فضيحة..

اقترب واسمع..

إني اثق في نصر الله وأوقن من تيسيره تعالى..

فإنه لن يغلب عسرٌ يُسرَين.. وقد قال تعالى:

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ [الشرح]..

أتعلم لِمَ لَمْ يأتِ النصر؟؟!

لأنَّا فعلنا كما فعلت يهود؟؟!!

دَعَوْنا الناس لدين رب الناس ثم خالطناهم وهم لمَّا يسلكوا بَعدُ سبيل ربِّهم..

أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر ثم غشينا أهل البلاء وصاحبناهم..

هل أكذبُ فيما أقول..

هل أتوهَّمُ أم إن هذا واقع بعضنا.. إن لم يكن حال معظمنا؟!

أم إنِّي صادق..

أفأدركت الآن لم نجد كل يومٍ خيرة الملتزمين، وقد انتكس وارتكس وباع دينه بعَرَضٍ من الدنيا دنيء قليل؟؟!!

إنَّ الانتكاس نتيجة طبيعية لمخالطة الأدواء وإهمال الدواء..

نهاية محتومة لتنفس الهواء الفاسد..

أناديك أخي أن إذا فعلت ما عليك وبذلت جهدك ثم لم تجد إلا الصُدود..

إذا بذلت جهدك وانبحَّ صوتك مناديًا ثم لم تجد أحدًا حولك يدعمك أو حتى يواسيك..

أناديك أن إذا فقدت المُعين أن تلجأ إلى الله وحده..

هو رب العالمين.. هو الرحمن الرحيم..

أناديك أخي أن تستقيل من البشر وأن تتمسك بحبل الله المتين..

أناديك أخي أن تستقيل..

استقل منهم وهاجر إلى الله بقلبك..

وإن استطعت فهاجر ببدنك..

سواء بقلبك هاجرت أم بقلبك وبدنك، فعليك أن تنحاز إلى قومٍ يعملون لهذا الدين، وكن معهم وفي ركابهم..

وهم بفضل الله كثيرون..

أوَلست تعلم قصة قاتل المائة..

قبضته ملائكة الرحمة حين أيقنوا أنه من قرية الشر استقال..

مُسْتَقِيلٌ

مُسْـــتَقِيلٌ مُسْـــتَقِيلٌ.. مُسْـــتَقِيلٌ مُسْـــتَقِيلٌ مُسْـــتَقِيلٌ

لا لـــن أميـــلَ لهـــم.. كـــلا ولـــن أرضى المَقِيـــلْ

إنَّ الـــذي يـــرضى بهـــم.. يســـعى لهـــم لهـــو الـــذليلْ

في قـــيظ شـــمسِ الحـــقِّ دمعـــي حـــارقٌ.. عَـــرَقٌ يســـيلْ

دمـــعُ المـــرارةِ والغصاصـــةِ فـــائضٌ ولألـــف ميـــلْ

دمـــعٌ تفجَّـــرَ مـــن فـــؤادي الحـــرِّ يشـــمخُ كالنخيـــلْ

دمـــعٌ أُجـــاجٌ نَبْعُـــهُ في مُهْجَتِـــي المَـــاضِي القَتِيـــلْ

و تبخَّـــرَ الملـــحُ الأجـــاجُ بِفِعْـــلِ حـــرٍّ لا يـــديلْ

و تكـــاثفَ المِلْـــحُ الأُجـــاجُ عـــلى الفـــؤادِ كـــما المَهيـــلْ
حتَّـــى أحـــالَ القلـــبَ مَزْعًـــا مـــن قديـــدٍ مُسْـــتحيلْ
يـــا رب ريَّـــا مـــن عطـــاءٍ منـــك للقلـــب الهزيـــلْ
يـــا رب رُكْـــنكُمُ شـــديدٌ.. عـــنكمُ لا لـــنْ أميـــلْ
يـــا رب رِزقَكُـــمُ وَفـــيرٌ.. وبـــهِ أنـــتَ الكفيـــلْ
يـــا رب أبـــدلنا بســـوءٍ نزدريـــهِ عطـــاءَكَ الـــوَفْرَ الجَميـــلْ

هذه ليست دعوة للاستسلام ولا العزلة..

ولكنها دعوةٌ لتغيير الواقع.. فإن لم يكن..

﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام:٦٨] ..

إن لم تغير الواقع فلا تتركنَّ نفسك لتُمسخ جزءًا منه..

فاسدٌ في مسلاخ عابد.

اربأ بنفسك أخي أن ترعى مع الهمل.. وكن حجرًا في البنيان المرصوص..

وإياك إذا ثُبِتَّ في هذا الجدار أن ترتج أو تهتز.. مهما انخلَعَتْ بجانبك الأحجار.

الباب السابع
حلولٌ عمليةٌ

القائد - المؤسّسيّة - البناءُ العضويّ - الاستراتيجية - الدأب - النتيجة

انتخبوا سيِّد قطب!!
[القائد]

تردَّدت أصابعي كثيرًا قبل أن تدقّ الكيبورد لتكتب هذا الفصل! فتارة يجيش صدري بالحروف ولا أبوحُ! وتارة أكتبُ وأمحوا

لا أريدُ أن أزيد طينة الافتراقِ بلَّة.. أو أزيد مظهري المعترض على كلّ شيء إيغالاً في الاعتراض! لكن لماذا لا يبوحُ المرءُ بما يراه بعد استقراء الدلائل.. وأجرُه على الله أولاً وآخرًا؟!

[1]

رجل المرحلة!!

إنها تلك المقولة التي أسرّ إليّ بها أحد طلبة العلم النجباءَ نقلاً عن أحد أعضاء مجلس أمناء الدعوة السلفية! سمعه يقولها بعد أن فارقه أحد مريديه المتذمّرين من مستوى التنازلات المتزايد طوال عام الثورة الأول! ذلك المستوى الذي يراه الكثيرون في تزايدٍ يقود الدعوة إلى جُبّ التفكُّكِ والاحتواء والضياع!

قال الشيخُ تأييدًا للمتذمِّر: "سيّد قُطب هو رجلُ المرحلة"! ونقلها لي الأخُ الذي سمعها كما هي غير منقوصة ولا زائدة! ومن يومها ترنّ في عقلي أخشى على إخوتي سُنَنَ الأمم والجماعات البائدة!

حقيقةً لستُ أخشى على الدعوة السلفية أن تُستأصل بكاملها ولا أن يُضطّهدَ أفرادُها أو يُقتّلوا أو ينفَوا من الأرض! فليس كل ضياعٍ في الفناء المادّيّ والبطش الظّاهر.. ولكني أخشى عليها مصيرًا أشدّ إيلامًا!!

فأكثر فناء الجماعات في اندراس رسومها الأولى وتحوُّل وجهة طريقها السّالف وسكون أفرادها وسكوتهم.. حتّى تنمو المشكلاتُ داخلها وتتشعّب تشعّب الالتهاب الرّئويّ في مجاري الهواء فيخنق رئتها الفكرية والحركية لتموت وتذوي بلا جُهدٍ من منافسين إخوة في الحركة الإسلامية، أو استئصال من طواغيت أعداء، ولا عسفٍ يُحسب عليهم! لكنهم بالطبع يقتاتون على جيفتها كالضّباع!!

[2]

لماذا سيّد؟!

إني حين أتأمَّلُ مقولة هذا الشيخ الذي مُنِع حقيقةً من أي منصبٍ مُؤثرٍ في هيكل الدعوة لفترة ليست باليسيرة لخلافه مع عضو آخر في مجلس الأمناء يُسيطر على مقاليد الأمور.. حين أتأمّل المقولة وأتأمل سيرة سيّد أضعُ يدي على مفتاح الإصلاح في جماعات اليوم.. فإن سنّة الله اقتضت أن الجماعات والعشائر لها طبيعة في نموّها هي أنها: تنمو بزيادة هادئة في البداية، ثم تتضاعف حتى تصل إلى ذروة مجدها وأوج كثرتها، ثم تبدأ في الانزواء والهبوط، حتّى خطّ الصفر.. وللهبوط أسبابُه.. ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤].. وكم مضت وذهبت دولٌ في تاريخ الإسلام لا مجرّد جماعات!! وسُنَنُ اللهِ لا تُحابي أحدًا!!

ونحنُ حين ندرس تاريخ جماعة الإخوان -كمثال- نجد أنها بعد وصولها لأوجِ مجدها بالقتال في فلسطين قد عُجّل لها نقطة بداية الانحدار عن عمدٍ على يد الملك وحكومته أولاً ثم على يد عسكر يوليو -الذين خرجوا من رحمها أصلاً- وذلك للخلاص منها والانفراد بالحكم دونها ونشر المناهج الحياتيّة الغربية دون منهجها الأوّل.. فاحتوى النظامُ من احتوى من قادتها، وأغرى من أغرى بالسُّكوت وأرهب من أرهب من زعمائها والمتعاطفين معها؛ ثمّ صار شبابُها ورجالاتُها المخلصون في السجون وخارجها بعد ضربة 1954 يخشون من كل فكرة لإعادة هيكلة الجماعة واستئناف نشاطها!! ويعتبرون فكرة استئناف النشاط تلك أحد تابوهات الهلاك ورقصات الموت!!

ولم يكن السجن والبطش هو الخطر الذي أمات دعوة الإخوان في صورة "السُّكون"، ولكن تلك الروح الانهزامية التي أطلّت واضحة على وجوه قادتها وأفرادها وفي أفعالهم!!

فكتب سيّد كتابه "هذا الدين" وهو في المعتقل سنة 1960 وشفعه بـ"المستقبل لهذا الدين"؛ ليبثّ روح المجد ويضخّ دماء التضحية في عروق شباب الإخوان من جديد.. وهو من هو!! هو الذي لم ينشأ في الجماعة بل دخلها مُفكّرًا إسلاميًّا ناضجًا سنة 1953 بعد أن هجر عبد الناصر ومجلس قيادة ثورته الذي اتضح انحرافهم عن منهج الله.. بل انضم إلى الجماعة في أوج صراعها مع عبد الناصر غير هيّابٍ لما ينتظره من البطش والتنكيل والعسفِ.. ليُعتقل بعد انضمامه لها بأشهر!!

ويقول عن ذلك صلاح الخالدي:

"كان على علمٍ بكلّ ذلك، وعلى إلمام به، واطّلاع عليه... ومع ذلك ترك الدنيا وما فيها عند عبد الناصر ورجال الثورة، وزهد في ما عندهم، من وظائف ومراكز وأموال ومناصب، وذهب إلى الإخوان المسلمين، فانضم إليهم وصار واحدًا منهم..

وهو يعلمُ ما هُم مقدمون عليه، وهو يكاد يرى المحنَ والأهوالَ التي تنتظرهم، وهو يُبصرُ الدماء والأشلاء التي تملأ طريقهم... ومع كل ذلك انضمّ إليهم!

إن انضمامه للإخوان في هذه الفترة، لا يتّفق مع منطق المتاجرة بالأفكار والمبادئ، ولا يتفق مع منطق إيثار السلامة والعافية!" [سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد: 332، 333]

إذن مفتاح الإصلاح -الذي انفتحت به الأقفالُ لسيّد- هو الفِداءُ والحِراك، لا المهادنة والسباحة مع التيّار..

الفِداءُ والحِرَاكُ مع سلوك كلّ وسيلة لنُصرة الإسلام لا الذوبان في وسيلة واحدة!!

خاصّة إذا كانت تلك الوسيلة (السجن) ملوّثة كسياسةٍ تحت حُكم العسكر بدساتيرهم وأغلالهم أو سياسة تُديرها الولايات المتحدّة عبر سفارتها في القاهرة..

قال سيّد رحمهُ اللهُ:

"إنه آن أن يقدّم إنسانٌ مسلم رأسه، ثمنًا لإعلان وجود حركة إسلاميّة وتنظيم غير مصرّح به، قام أصلاً على أساس أنه قاعدةٌ لإقامة النظام الإسلامي، أيًّا كانت الوسائل التي سيستخدمها لذلك. وهذا في عُرف القوانين الأرضية جريمةٌ تستحقُّ الإعدام" [سيد قطب - لماذا أعدموني: 7، 8]..

ما بالنا ومصر اليوم ما زالت مفتوحة لا شيء ممنوعٌ فيها فعليًّا، تستطيع الدعوات أن تقوم علانية وتنمو وتتمدّد مؤجّلة الصدام إلى حين استقرار الأوضاع وثبات سُلطة ما تُعارضها أو لا تُعارضها حسب حالها ومآل أفعالها!!

لماذا النكوص اليوم عن الدعوة والإغراق في سياسة غير رشيدة بينما رجالٌ ضحّوا بدمائهم من أجل الدعوة تحت ظلال المشانق؟؟!! لو كان تركُ الصدام مع العسكر بحجّة المصلحة صادقًا لكان التركيز على الدعوة ونشرها الآن أولى لا على المكاسب والمناصب!!

[3]

كلمة الهضيبي تتكرّر!!

دخل سيّد الجماعة فكان الروح التي بعثها اللهُ بها من جديد وتعلّق بها شباب الجماعة بل مرشدُها الثاني!!

فقد نقلت الحاجة زينب الغزالي -رحمها الله- مقولة الهضيبي حين اطّلع على مسودّة كتابه "معالم في الطريق" وسيد لا يزال مُعتقلاً بعدُ في 1964 قال:

"إنَّ سيّد قطب هو الأملُ المرتجى للدعوة الآن، إن شاء الله" [أيام من حياتي: 36]

هل تكرّرتْ كلمة الهضيبي على لسان ذلك الشيخ السلفي لمّا قال: "سيد قُطب هو رجُل المرحلة" بلفظ آخر ومعنىً واحد؟؟

نعم تكرّرت..

وليس حبًّا في سيّد أو غلوًّا فيه..

بل رغبةً في قائدٍ يحمل صفاتٍ مثل صفاته، ويقفُ مواقف ثابتةً راسخةً مُفاصِلة للطاغوت كمواقفه؟

لا شك أنها رغبة في مثله أن يخرج في السلفيين كما خرج سيّد في الإخوان..
روحًا نُفِخَت في جسدٍ يموت وعزمًا قام بشبابٍ يستكين!!

[4]
لماذا سيّد الآن؟!

إن إشكالية الصدام المسلّح كردّ فعل للتضييق على الدعوة؛ التي تبنّاها سيّد ليست هي المطروحة على ساحة هذا الفصل بقدر ما هي إشكالية "منهجية استدامة اللأصِدام"!!.

فإذا كان السلفيُّون يظنُّون أنهم على الحق فليحملوه على أكفانهم أو حتى على أسنة أقلامهم وأزرار كيبورداتهم وذبذبات ميكروفوناتهم وأوراق جرائدهم وشاشات قنواتهم!! لا أن يكون كل هذا هادئًا كحصيرة بحرٍ بلا موج مُهادنًا للباطل وأهله من أجل الحفاظ على مصالح الجماعة الضيّقة والحزب المضمحلّ الذي يتوقّع له المحلِّلون الانقسام على نفسه ثم سقوطًا مدويًّا في أي انتخابات قادمة خاصّة إذا تمّت بـ"النظام الفردي"، وقد انشطر أوليا بالفعل إلى حزبين : "النور" و"الوطن"!!

إن سيّد حين بدأ توجيه الإخوان فكريًّا كان تنظيمهم تحلّل بالفعل ويحتاج إلى إعادة بناء.. بينما تنظيمات السلفيين لم تبلُغ يومًا قوة تنظيم الإخوان ما قبل 1954 وبالتأكيد لا يوجد الهول الأمني الضاغط على السلفيين الآن كما كان على الإخوان حينها.. فإعادة الهيكلة وترتيب الأفكار أيسر إذًا!!

وسيّد حين أتاه "عبد الفتاح إسماعيل" -زميل مشنقته فيما بعد- ليقود النواة الصُّلبة للتنظيم الجديد للإخوان كان قد جمع فيه خيرة النماذج بعد أن فَرَزت المحنةُ جماهيرَ الإخوان ونَفَتِ الخَبَثَ والضَّعف والتردُّدَ وغيرها من صفات من لا يثبتَ لصراعٍ أو يقفَ لصِدام!! بينما نحنُ اليوم تفرزُنا منحةُ الخير -من أوهام تمكين وعُلُوّ- لا الشر، وقد قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥].. فتقدّم يا سيّد لتكون رجل المرحلة!!

[5]

تحتاج السلفيّة سيّدًا.. وسيّد ماذا يحتاج؟!

أتُرى يحتاج السلفيون -وليست الدعوة السلفية وحدها- سيّدًا من خارجهم كما احتاج الإخوان حينها سيّدًا من الخارج..

أم في السلفيين من يكفهم هذه المؤونة؟؟!

هل حقًّا للتربية الداخلية عيوبٌ قاتلةٌ تُميتُ المواهب وتحجر على الأفكار فتمنع بزوغ الإصلاحيّ معيد الدقّة إلى نصابها الأول من الداخل السلفي.. فيحتاج السلفيون وافدًا جديدًا على تنظيماتهم الواهية؛ يؤمن بالرسالة السلفية ليصحّح مسار أهلها؟؟!!

كان سيّد يسعى لتربية شباب مصر كلِّهم على الإسلام حين عمل على إنشاء وهيكلة "هيئة التحرير" مع مجلس قيادة الثورة في بادئ الأمر.. فلمّا تبيّن له أنهم أعداء لله يريدون تنشئة الشباب على المناهج الباطلة والأخلاق المنحلّة تبرّأ منهم ومضى ينظرُ كيف يُنشئ الأجيال على الإسلام؛ وهو المتخصص في التربية وطرق التدريس!!

وكان فيصل اختيار سيّد لإصلاح جماعة الإخوان بدلاً من سعيه لإنشاء غيرها اقتناعُه بكفاءة شباب الإخوان وأنهم يحتاجون فقط للدفعة الجديدة مع تصحيح المسار.. إذ أعاد تقديم كتابه "العدالة الاجتماعية في الإسلام" فأهداه إليهم في طبعته الثانية بقوله: "إلى هؤلاء الفتية الذين كانوا في خيالي أمنيةً وحُلمًا، فإذا هُم حقيقةٌ وواقع، حقيقة أعظمُ من الخيال، وواقعٌ أكبر من الآمال".

كتب هذه المقدمة بعد أن وجد فيهم ضالته التي كان يبحث عنها حين قدّم طبعته الأولى بقوله: "إلى الفتية الذين ألمحهم في خيالي قادمين، يردُّون هذا

الدين، جديدًا كما بدأ.. يُقاتلون في سبيل الله، فيقتُلون ويُقتلون، مؤمنين في قرارة أنفسهم أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين".

هل تعقمُ السلفية الحاليّةُ عن ولادة ذلك النجم؟؟ أم هل سيعدم المصلحُ القادمُ من بعيدٍ رجاءً في السلفيين عكس ما رأى سيّد الرجاء في الاخوان حينها فيحتاج أن يبدأ عمله من جديد؟؟!!

حقيقةً إجابة هذا السؤال صعبة.. لكنها الأيام.. ستُبدي!!

إن إشكالية إعادة بعث الحركة الإسلامية وصفّها لصدام الباطل ليست مجرّد إشكالية وجود القائد الهُمام أو المفكّر الألمعي فجأة.. بل وجود الخامة التي يعمل عليها هذا القائد وذلك المفكّر.. سواء اشترك في تربيتها أم استلمها من مربّيها.. تلك الخامة هي الشباب الذين ينطبق عليهم وصفَ سيّد في مقدمة كتابه الأولى لا الثانية!! هل حقًّا نجح الطواغيتُ بإلهاء الأساتذة عن مقاصدهم من تربية الجيل ونجحوا في دفع الجيل منحرفًا عن مساره حين أشغلوه بالمكاسب الضيقة والانتصارات المؤقتة والوعود الزائفة عن غايته من استئصال الباطل وأهله!!

هل حقًّا يصدقُ وصف سيّد لجيل التمكين في جيلنا الحالي؟ أم إن الحركة الإسلامية تحتاج أن تعود إلى خنادق التربية والإعداد من جديد متزامنة هذه المرة مع: ثوريّة لا تخبُو، وحركيّة لا تجمُّد فيها ولا سُكُون، ولا لظالمٍ بحالٍ رُكون؟؟!! أميلُ إلى إجابة سؤالي الثاني بـ"نعم"!!

[6]

فيا معشر السلفيّين... قوموا فانتخبوا!!

بل يا معشر المسلمين قوموا فانتخبوا.. انتخبوا ولكن ليس في الصناديق!!

اخرجوا من ضيق الصناديق التي حبستُم أنفسكُم فيها إلى براحِ الكفاحِ الفسيح!!

كفاكُم حبًّا للدّعة والسكون وطلبًا للسلامة والعافية!!

انتخبوا سيّد قطب.. رمز المشنقة!!

انتخبوا من بينكُم سيّدًا قُطبًا!!

انتخبوا من بينكُم سيدًا ينهض بهذه الدعوة ويقوم بها ويبذل وتبذلون معه الغالي والنفيس..

انتخبوا سيّد قُطب!!

جرابُ الحارسِ لا يَخلُو

تلفّت حارسُ الفنار حوله؛ يبحث عن شيءٍ يمسك به الفتيلة المحترقة..

لم يجد إلا يَدَيْهِ العَارِيَتَيْن!!

فأسرع يسحب الفتيلة بأصابعه غير آبهٍ لسخونتها وإحراقها جِلدَه!!

إنه يُدركُ أن كل لحظة ظُلمة قد تودي بسفينة مُبحِرَةٍ إلى هلاكٍ محتَّم!!

فالبحر تتلاطمُ أمواجُه.. وتتَخَلَّله جُزُرٌ صخريةٌ قاسيةٌ.. وتتعدَّدُ مواضعُ الدَّوامات المُغرقة في جَنَبَاتِه!!

"لابدَّ أن أسرعَ بتغيير الفتيلة" هكذا حدَّث نفسه..

فتح حقيبة الفتائل.. وابتسم حين وجدها ممتلئةً كعادتها.. فهذه فتيلة قصيرة وتلك طويلة؛ غيرها رفيعة والأخرى سميكة.. فتائل عِدَّة من كل صِنف.. فجراب الحارس لا يخلو!!

أسرع يدسُّ فتيلةً جديدةً في مصباح الفنار ويشعلها.. فعاد الضوء..

وسيبقى ضوء الفنار ليرشد السفن في ظلمة البحر..

سيبقى طالما جراب الحارس لا يخلو من فتائل تحترق لتضيء الطريق.

همّام

ورقة عمل لإنشاء جمعية أهليّة متكاملة [المؤسّسيّة]

[1]

تمهيد

الحمدُ لله يُعلي من سَلَك في خدمته، والصلاةُ والسلامُ على من اتباعُ سُنَّته شرط الله في محبّته؛

ثمَّ أمَّا بعد...

فلكلِّ وقت واجباتُه، ولا أرى الآن أوجب من إنشاء كيانات مُؤسَّسية رسمية تقوم على تجميع الشباب الثوري علانية تحت غطاء رسمي يُصعِّب التدخل والتضييق الأمني في المستقبل -وسيكون هناك تضييقٌ بعد استقرار الأجواء ولا شكَ- هذا مع التأكيد على بقاء الفعاليات الثورية حيّة فاعلة. وهذا المقترح ورقة عمل مُختصرة أسميتُها "همَّام" تيمُّنًا بالصِّدق لقوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «... وأصْدَقُ الأَسْمَاءِ هَمَّامٌ وحَارِثٌ...» [مرسلٌ صحيح: الألباني، الصحيحة 1040]، وهذه الورقة كنموذج تطبيقي لما سبق ودعوتُ إليه في فصل [مسكات]..

وكنت قد عرضتُ ورقةَ العمل هذه على مجموعة من الإخوة الأفاضل الناشطين أيام مبارك، فلاقت التأييد والحماسة ولكن تنفيذها لم يتمّ.. ثمّ عرضتُها بعد الثورة على مجموعة أخرى تابعة للدعوة السلفية فاستفادوا منها وأنشِئت الجمعيّةُ، وعَمِلَت لكن بما لا يُوازي رجائي منها ولا أملي حينها فيهم.. فوجب نشرُها لينتفع بها من أراد؛ فقد قال سيّد قطب رحمه الله في [أفراح الرُّوح] كلمات لسنا من أهلها، ولكن نتذاكرها عسى تدفعنا لحُسن التأسِّي:

"إن الفرح الصافي هو الثمرة الطبيعية لأن نرى أفكارنا وعقائدنا ملكًا للآخرين، ونحن بعدُ أحياء. إن مجرّد تصوُّرنا لها أنها ستصبح -ولو بعد مفارقتنا لوجه هذه الأرض- زادًا للآخرين وريًّا، ليكفي لأن تفيض قلوبُنا بالرِّضى والسعادة والاطمئنان!

"التجار" وحدهم هم الذين يحرصُون على "العلامات التِّجارية" لبضائعهم؛ كي لا يستغلها الآخرون ويسلبوهم حقهم من الربح، أما المفكِّرون وأصحاب العقائد فكل سعادتهم في أن يتقاسم الناس أفكارهم وعقائدهم ويؤمنوا بها إلى حدِّ أن ينسبوها لأنفسهم لا إلى أصحابها الأوَّلين!

إنهم لا يعتقدون أنهم "أصحاب" هذه الأفكار والعقائد ، وإنما هم مجرد "وسطاء" في نقلها وترجمتها.. إنهم يحسُّون أن النَّبع الذي يستمدُّون منه ليس من خَلْقِهم، ولا من صنع أيديهم. وكل فرحهم "المقدس" إنما هو ثمرة اطمئنانهم إلى أنَّهم على اتصال بهذا النبع الأصيل!".

وتُراعِي ورقة العمل هذه ما ورد بالقانون 84 لسنة 2002 ولائحته التنفيذية رقم 178 لسنة 2002 بالإضافة لقوانين أخرى مُكمِّلة؛ وهذا يعني أن كل الحلول والتنظيمات المطروحة في هذا الفصل عُرضة للتغيير والتطوير وفقًا لتغيير أو تعديل هذا القانون المنظِّم لتأسيس وإدارة الجمعيات والمؤسسات الأهلية.

[2]

مُلخّص بنيّة الجمعية

ميادين وأنشطة عمل الجمعية وأهدافها الخاصة بكل منها:

[الترتيبات العامّة من "أولاً" إلى "عاشرًا" هي "ميادين" عمل الجمعية، والعناوين الفرعية هي "الأنشطة" التي تمثّل تفعيل ميادين العمل وأتاحها القانون المذكور، وعلامة "*" هي بداية شرحي على النقطة وأهدافها].

<u>أولاً: ميدان الخدمات الثقافية والعلمية والدينية والتعليمية:</u>

1- إقامة الندوات والمحاضرات الثقافية والدينية لتوعية الأعضاء المشتركين بالجمعية وللأهالي.

* ويجب أن تتمدد هذه النشاطات للندوات التثقيفية في مجالات العلوم المختلفة وليست الشرعية منها وحسب، ولنا في لهفة الشافعي على الطبّ -كأحد علوم غير الشريعة- أسوة؛ فقد كان يتلهّف على ما ضيّع المسلمون من الطب، ويقول: "ضيّعوا ثُلُثَ العلم، ووَكَلُوهُ إلى اليهودِ والنصارى" [سير أعلام النبلاء، 57/10].

ولا أمثل من الشباب ليكونوا الخامة والمعدن الصالح لصياغة كوادر المسلمين في كل مجالات فروض الكفاية؛ وهذه النقطة تغطّي نشاطات الدروس التربوية والدورات العلمية والتثقيفية المختلفة رسميًا مما يُشجع الآباء على ترك أبنائهم يحضرون وينتظمون؛ بل ويستشعرون بالأمان أكثر في إشراك أبنائهم مع رسمية النشاط وإعلانه.

2- إنشاء المكتبات الثقافية والعلمية والدينية.

* حيث يمكن عمل مكتبات للكتب النادرة التي لا يمكن توفيرها في الأسواق أو يصعب شراؤها لارتفاع ثمنها سواء كتب المراجع الكبيرة والقَصَص أو المعلومات الطريفة والتثقيفية أو المسابقات، وتكون هذه المكتبات نواة لجذب الفتيان،

وكذلك مفرزًا لتحديد من يصلح منهم للتوجيه ككادر تخصصي أو علمي دقيق تحتاجه الأمة كباب لسد فروض الكفايات.

3- فتح فصول لتحفيظ القرآن الكريم.

* وجود التحفيظ في مؤسسة اجتماعية بعيدًا عن (المسجد) أو (دار التحفيظ) يعطيك مساحة للوصول لفئة من المجتمع لا تدخل المسجد ولكنها لا تزال تُقدّس حفظ القرآن كعلامة أثرية باقية على .الإسلام جنبا إلى جنب مع ممارسة النشاط الموسيقي والرياضي والتفوق الدراسي كأنواع متساوية من تكامل الحياة!! -هذا وفقًا لنظرتهم المغلوطة- هذه الفئة موجودة، ولا يمكن الوصول إليها إلا عبر هذا الطريق.

4- إقامة المعاهد أو الكليات أو المدارس الخاصة بعد موافقة الجهات المختصّة.

* وهذا هدف يجب أن يوضع في نطاق التطبيق بأسرع وقت، ويتم التفكير في توفير الدعم اللازم له؛ لأنه هو الأداة الحقيقة لتربية الأجيال الجديدة تربية متكاملة شرعيًا وماديًا ورياضيًا وفي كافة المجالات، إضافة لتوفيره تمويلا جيدًا جدًا للجمعية في حال كانت المدارس خاصة سواء الدّراسة بالعربية أو لغات؛ وقد سبق الإخوانُ ومن قبلهم النّصارى على شتَّى طوائفهم في هذا المجال بأشواط بعيدة وعقودٍ وقرونٍ مديدة.

5- إصدار مجلة أو نشرة دورية تعبر عن أنشطة الجمعية وتوعية الجماهير بعد موافقة الجهات المختصة.

* والنشر باسم الجمعية يُعطينا مساحة تحرك واسعة ومُعتمدة ومناسبة لنشر الإنتاج الفكري والأدبي الجيّد للشباب الذي لمّا يشتهر اسمُه بعد دون عقبات ماديّة؛ ويمنحك فرصة توزيع منشوراتك في كُبرى المكتبات لتصل لأكبر عدد من الفتيان والشباب وأوسع نطاق.. وحينها تستطيع التوزيع ضمن توزيع

الأهرام أو غيره، وتجد منشورات الجمعية عند باعة الجرائد وفي مكتبات المدارس وهكذا.

6- فتح فصول تقوية للطلبة بمراحل التعليم المختلفة بأجور رمزية.

7- إنشاء نادٍ اجتماعي لأعضاء الجمعية.

* وهذه النقطة أيضًا خاصة بطمأنة أهالي الفتيان والشباب وإدارة علاقة جيدة معهم. ويُضاف (النشاط الرياضي) ومنافساته.. ثم يمكن تطويره لإنشاء فِرق تنافس في شتى المستويات وتكون خير دعاية للمنهج النهضوي المؤسّسي وللجمعية عبر سمت اللاعبين الإسلامي.

8- تنظيم رحلات ثقافية وترفيهية لأعضاء الجمعية لتقوية الروابط الاجتماعية. وتُخصص هذه لزيارة معالم الإسلام في مصر -من مساجد وحصون ومدارس وتِكِيّات ومتاحف ومواقع معارك وأحداث فاصلة وغيرها- وكذلك لنوادي العُلوم ودروس الشريعة والمصانع والمزارع وغيرها..

ليتكامل الجانب المعرفي للفرد ويرتبط بعبقرية المكان ويعيش عبق العِز في قريب وبعيد الأزمان.

9- القيام برحلات الحج والعمرة للأعضاء المشتركين بالجمعية وزيارة الأماكن المقدسة.

* تكون رحلة العمرة علامة فارقة في حياة النشء، ومبدأً نقيًا لرجولة واعية أو ضبطًا لمراهقة متفجّرة قد ترديه لولا شحنة الإيمان التي تمنحها العمرة أو الحج.

وكذلك هي نافعة للآباء.

10- إنشاء المساجد ورعايتها.

* لابد لكل الأنشطة في نقطة ما أن تصب في المسجد؛ ووجود هذه النقطة ضمن الأنشطة في النظام الأساسي يمنح القائمين على المسجد حصانة من

المنع الأمني الودّي وغيره من التضييق نظرًا لما يمنحه العمل الاجتماعي من ديمومة. وبناء المساجد الجامعة يُعيد لمصر وجهها المسلم بعد أن كادت تصبح بلد الألف برج كنيسة!!

11- القيام بالمسابقات الدينية والثقافية والعلمية والحفلات والمباريات.

ويكفل الميدان الثاني كفالة المعوزين أو فاقدي العائل. وهو:

ثانيًا: ميدان المساعدات الاجتماعية:

1- تقديم المساعدات المادية والعينية في المناسبات أو بصفة دورية أو شهرية حسب موارد الجمعية.

2- كفالة اليتيم ومساعدة المرأة المعيلة.

* ولابد أن تكون كفالة اليتيم عندنا أوسع من مجرد المسؤولية المالية تجاهه ولكن تكون بتربيته وتنشئته وتوجيه والدته لخيرها وخيره في الدنيا والآخرة أي بقيام الجمعية بدور (الأب)، فكثير من الأيتام لا ينقصهم المال ولكن ينقصهم المربّي والموجّه وكذلك من يقضي مصالحهم ويرعاهم وبخاصة في ظل ترمُّل الأم ومسكنتها.

ولا ننسى أن هناك أغلبية من (الأيتام بلا يُتم): الذين ترى آباءهم على قيد الحياة، ولكن انشغلوا عنهم بالدنيا أو هم يُربُّونهم على ما يُفسد الآخرة. وكما قال شوقي:

ليس اليتيـــمُ من انتهى أبوَاهُ من ** هَمِّ الحياةِ وَخَـلَّفاهُ ذليلا

فأصابَ بالدنيا الحَكيمةِ منهما ** وبحُسْنِ تربيةِ الزمان بَديلا

إن اليتيمَ هو الذي تَلْقَــى له ** أمًّا تخلَّتْ أو أبًا مَشْــغولا

يتمُّ كذلك السعيُ في تزويج المرأة المعيلة نفسها من آحاد الشباب غير القادرين فوق سن 18 تيسيرًا في التزويج والإعفاف وتوفيقًا بين عنصرين قد يُعانيان

المشكلات بسبب الحرمان من الحلال في الطرفين؛ وقد يتطلب هذا الاقتراح مجهودًا لكسر حواجز فارق السن ورغبات أهل الشباب وغيرها لكنه مقترح عملي نافع إذا نُفِذ. وكذلك يتم السعي في تزويج اليتيمات من الشباب والعكس كلما أمكن وناسب، مع حفظ الحقوق والعمل على التيسير قدر الإمكان.

ثالثًا: ميدان رعاية الأسرة:

1- إقامة مكاتب التوجيه والاستشارات الأسرية.

2- إقامة مراكز للتوعية بأضرار المسكرات والمخدرات.

* وهذا مجال مهم جدًّا ينبغي لنا الاهتمام به والقيام بواجبنا فيه بإشراك كوادر مؤهلة شخصيًا وتخصصيًا؛ بدلاً من كونه الآن مرتعًا خصبًا للنصارى يكتسبون منه ويمارسون فيه نشاطاتهم التنصيرية..

رابعًا: ميدان التنمية الاقتصادية لزيادة دخل الأسرة:

1- إقامة المشروعات لتشغيل الخريجين الجدد.

2- إقامة مشروعات الحرفيين لتدريب الأفراد من أجل المعونة في المعيشة والعمل على زيادة دخل الأسرة.

* فكثيرًا ما يكون المانع من متابعة الشاب لنشاطاته الثورية والنهضوية هو انشغاله بالعمل مبكرًا لأجل لقمة العيش؛ وإذا ما احتضنت الجمعية هذه الفئة سيكون هذا احتضانًا ثنائي الغرض يوفر لهذه الفئة مصدرًا للدخل عبر توظيفهم في مشاريع الجمعية ويوفر للجمعية تمويلاً عبر أعمالهم. مع الحذر من الوقوع تحت طائلة قوانين الحد من عمالة الأطفال (يزعمون أن الأطفال تحت 18 سنة).

خامسًا: ميدان رعاية الطفولة والأمومة:

1- إنشاء دور الحضانة.

2- إنشاء مكتبات للأطفال.

3- إنشاء أندية أطفال.

4- إنشاء حدائق للأطفال.

* على أن تكون هذه الأنشطة الخمسة لهذا الميدان موضوعًا لإنشاء (جمعية منفصلة تختص برعاية البراعم) وهي فئة ما قبل الفِتيان ليتكامل مشروع الجيل المسلم؛ وأرى فصل الجمعيتين لأن لكل فئة متطلباتها فقد يغلب على فئة (البراعم) احتياجهم للرعاية الأنثوية لذا فأرشح فئة (الأخوات) للقيام بهذا المشروع الاجتماعي المستقل.

5- إنشاء دور لرعاية الأيتام وخدمة الرعاية البديلة.

* وكذلك يتم تجنيب هذا النشاط في جمعية منفصلة نظرًا لطبيعة المشروع؛ حيث تختلف احتياجات (الإيواء والرعاية المتكاملة) عن النشاط الرّعَوي المعتاد، وكذلك عن كفالة اليتيم في منزله، وكذلك تختلف تصاريحه الرسمية والرقابة عليه وغير ذلك، ويُفضَّل للعاملين في مشروع (دار رعاية الأيتام) أن يتفرغوا له وإن عملوا على نفس منهج الرّعَاية لأن أبوّة (المربي) تقل في مسؤولياتها عن أبوّة (الأب البديل).

سادسًا: رعاية الفئات الخاصة والمعوقين:

* يرى المراقبُ أننا مقصرون جدًّا تجاه هذه الفئة من فئات المجتمع المسلم وتقصيرنا مع بالغي المعوقين كبير وتقصيرنا مع الفتيان والشباب منهم أكبر؛ فلا ندوات ولا مطبوعات ولا رعاية خاصة بهم كما يجب؛ بينما تتلقّفهم أنديةُ الرُّوتاري والليّيونز ومواخير الفساد فتدفعهم في السلك الفني غير المنضبط أو الإلهاء الرياضي غير المثمر وغيرهما، والواجب علينا أن نرعى هذه الفئة وأسرهم ضمن ميادين عمل الجمعية ونهتم بها فيكون لها نصيب من ندوات الجمعية ومطبوعاتها وفرقها الرياضية وغيرها من نشاطات فنية مُنضَبِطَة وعلمية نافعة

وحرفية كافية لنعيد هذه الفئة إلى القوة الفاعلة للمجتمع، بينما يُنشأ كهدف بعيد جمعية متخصصة لرعايتهم يكون لها تمويلها ومرافقها الخاصة.

سابعًا: ميدان حماية البيئة والمحافظة عليها:

1- إقامة الخدمات التى تساعد على المحافظة على البيئة مثل تشجير الأماكن العامة والميادين والمشاركة في صيانة المرافق والمشاركة في تنظيم المرور ومحاربة مصادر التلوث في المدينة والريف.

* وهذا باب جليل من أبواب منفعة المسلمين وكذلك دعاية قوية جدًا لنشاطات الجمعية والشباب الثوري عمومًا، فلنتخيل فريقًا من الفتيان حَسَنِي السمت يرتدون زيًا موحدًا يزرعون الأشجار وينظفون الطرقات ويدهنون الجدران والأرصفة بابتسامة ودودة وشعارات إيمانية، أو فريق من الفتيات المحتشمات في دار مُغلقة يحاضرن ربات البيوت والفتيات الأخريات عن كيفية فرز المخلفات وإعادة تدويرها والاستفادة منها في الأعمال المنزلية: ستجد حينها كل أب يرغب في أن يفتخر بابنه أو ابنته ضمن المشاركين، وكل فتى وفتاة سيشعر أنه عضو فاعل ومهم بين أقرانه.

ثامنًا: ميدان الصداقة بين الشعوب:

1- تقديم جميع الأنشطة التى تتم للتعرف بالدول الأخرى والتى من شأنها تقوية العلاقات الثقافية والاجتماعية بين الدول وتبادل الوفود والزيارات والثقافات والخبرات.

* وهذا يتيح الكلام عن آلام المسلمين ومشكلاتهم وقضاياهم وكذلك مساوئ الغرب وأتباعه ورزاياهم تحت غطاء رسمي، ولكن يجب الحرص والتهيئة العلمية الجيدة للمادة المعروضة ووضعها في إطارها الصحيح: ما زلت أذكر منذ 15 سنة محاضرة عن (عبد الرحمن الغافقي رحمه الله)، وكيف تم رسم خريطة توضيحية فيها وتزيين الكلمات عن طبيعة الأندلس الخلابة وعمارة

المسلمين الأوائل فيها، وفي وسط ذلك عُرض الكلام عن حضارتنا البائدة هناك وكيف بادت؛ صحيح أن المثال عن التاريخ وليس الواقع ولكن الشاهد هو الأسلوب؛ والمطلوب استخدام أدوات العرض قدر المستطاع كالـ Over Head Projector مثلاً وتعميم الأسلوب الإبداعي في العرض..

2- تنمية روح الصداقة بين الشعوب.

* توجّه بين الشعوب الإسلامية فقط؛ خاصة الشعوب المجاهدة للاستعمار الغربي والمناضلة في الربيع العربي.

3- إقامة الندوات الثقافية والعلمية والطبية والاجتماعية؛ للتعرف على قضايا الشعوب، والتعرف على الحضارات المختلفة.

4- القيام بالرحلات المختلفة بين الدول.

* وهذه بابٌ رسميٌّ علنيٌّ متميّزٌ للمعسكرات الخارجية وتبادل الزيارات بين الشباب من البلدان المختلفة، ومد جسور المودة والتواصل وبناء علاقات تدوم لعقود عبر الجيل الناشط الحيّ الجديد.

تاسعًا: ميدان النشاط الأدبي:

يخص الجمعيات التى تعمل في الميدان الأدبى والفنى من خلال الأدب والشعر والفنون المختلفة والعروض المسرحية أو السينمائية.

* والأصل تنمية هذا النشاط حفاظًا على هويتنا الإسلامية التي تصونُها اللغةُ العربيةُ، فإن الشاب إذا كان ضعيفًا في اللغة والأدب فهو ضعيف في فهم الإسلام؛ فكيف يطبقه بالسَّوِيَّةِ إذا لم يفهمه كما يجب؟ كما قال ابن الخبّاز -رحمه الله- في تقدمة كتابه [النهاية في شرح الكفاية]: "والكتاب والسنة شجرتان لا يجني ثمارَهما وبحران لا يَرِد غمارَهما إلا من عَرَف اللغة والنحو".

ولابد كذلك من رعاية هذه الجوانب في النَّاشِئَةِ لاكتشاف الموهوبين فيها وتوجيههم دراسيًا وغيره؛ لتنمية هذه المهارات والإفادة منها في تنويع طرق نشر

الحقّ عبر الرّواية والمقالةِ والشّعر والسيناريو وغيره: لأن الفتى يتشرب الإسلام من صغره، فإذا كان موهوبًا في الأدب أخرج الحقّ في أبهى صوره لغيره فيكون جاذبًا سَلِسًا مؤثرا ناجحًا بإذن الله.

عاشرًا: ميدان التنظيم والإدارة:

1- تقديم البرامج والأنشطة والدورات التدريبية للتعرف على أساليب الإدارة الحديثة والتنمية الإدارية.

* وهذا مهم في بنية الشاب وإعداده لقيادة المستقبل؛ وأرى أن تُنشأ جمعية منفصلة يكون هدفها هو التنمية الإدارية تتابع الشباب وتساعدهم في أعمالهم وحياتهم. فكما نحتاج جمعية ترعى البراعم لنحصل على خامة متميزة لعمل النّاشئةِ فإننا نحتاج جمعية ترعى الفتيان إذا صاروا شبابًا ورجالاً لتستمر الثمرة في أبهى حالاتها، وتخلِّف بذورها لتنبت أشجارًا جديدة تزدان بها أرض مصر وتُزهر بها حدائق الإسلام فيها.

[3]

احتياطات

(1) ويُثبَتُ في النظام الأساسي بعض الشخصيات العامة المشهورة بالأمانة والحياد كأعضاء فخريين أو كـ(حَكَم) في حالة محاولة وزارة التضامن حل الجمعية أو تغيير مجلس إدارتها عنوة؛ ومعلومٌ أن حقيبة وزارة التضامن تُمنح غالبًا لليسار الذي لا همّ له إلا التضييق على الجمعيات إسلامية الطابع أو الهوى، مع فتح المجال على عواهنه للجمعيات المسيحية أو العالمانية.

(2) يتم الإنشاء السابق لجمعية بسيطة -لتكن نسوية لتحفيظ القرآن أو لتعليم التطريز والمهن المنزلية- أو عدة جمعيات على هذا المنوال؛ ويسجل في النظام الأساسي أن الأصول تؤول إليها في حالة الحل حفاظًا على أموال المسلمين من المصادرات الغاشمة.

(3) يجب استشارة متخصص قانوني وآخر مُحاسبي وثالث له خبرة في عمل الجمعيات باستمرار.

[4]

مزايا الجمعيات الأهلية

(1) يجوز لها العمل في أكثر من ميدان من ميادين تنمية المجتمع وأكثر من نشاط تحت كل ميدان؛ ويجوز إضافة ميادين جديدة لم تكن موجودة في النظام الأساسي ولكن بموافقة مديرية التضامن الاجتماعي. وتنوُّع النشاطات المذكورة في القانون يوفر غطاءً رسميًا لكل النشاطات المرغوبة تقريبًا.

(2) يجوز لها تلقي التبرعات داخل مصر من أشخاص طبيعيين مصريين وأجانب أو اعتباريين مصريين -دون فروع المكاتب الأجنبية أو مكاتب تمثيل الشركات الأجنبية- وذلك دون إخطار وزارة التضامن الاجتماعي. ويلزم إخطار الوزارة في حالة تلقي تبرعات من كيانات أجنبية.. فلا حاجة لعنترية "مصر لن تركع لأمريكا"؛ ثم نجد المجلس العسكري يسجد لها بإرسال موظّفي الدعم الأمريكي المشبوه في طائرة خاصة.

(3) يجوز لها أن تُرسل أموالاً للخارج -كإغاثة منكوبي أنظمة الربيع العربي مثلاً- بعد الحصول على إذن من وزير التضامن الاجتماعي. تُرى هل يأذن الوزير في إغاثة منكوبي سوريا لو كان يَساريًا محافِظًا يدعم نظام بشّار الأسد؟؟!!

(4) معفاة من الضرائب ورسوم الدمغة الحالية والمستقبلة، فلا تخضع أرباح مشروعاتها للضريبة على الدخل، وكذلك الضرائب الجمركية على الآلات والأجهزة ولوازم الإنتاج والهدايا والهبات من الخارج بشرط عدم التصرُّف في المعمّر منها قبل مرور خمس سنوات، وتُعفى العقارات المملوكة لها من الضرائب العقارية. إلا أنها تخضع لضريبة المبيعات.

(5) تخصم التبرعات المقدمة إليها من أرباح المانح فلا يحتسب عليها ضريبة -حتى نسبة مُعيَّنة- وهذا يشجع الشركات ورجال الأعمال على رعاية لشاطات

الجمعيات كدعاية اجتماعية لشركته، وكاستفادة من الضريبة بدلاً من دفعها كغرامة كاملة وحسب.

(6) تُمنح 25% تخفيضًا في أجور نقل المعدات والآلات على السكك الحديدية، و50% على فواتير استهلاك المياه والكهرباء والغاز الطبيعي المنتجة من قبل الدولة، وتُعامل وفقًا لتعريفة المنازل في حساب المكالمات التليفونية بشرط أن يكون العداد أو الخط باسم الجمعية.

(7) يجوز لها الانضمام والاشتراك والانتساب إلى أيّ نادٍ أو جمعية أو منظمة مقرُّها خارج مصر، ونشاطها لا يتعارض مع أغراضها بشرط إخطار وزير التضامن الاجتماعي، وله حق الاعتراض في مدة أقصاها 60 يومًا؛ وهذا بالطبع أهميته الكبري في منظّمات الإغاثة.

(8) يجوز لها دومًا الموافقة على انضمام أعضاء جُدد. كما يجوز ضم غير المصريين بشرط حصولهم على إقامة دائمة أو مؤقتة. على أن تتناسب نسبة أعضاء مجلس الإدارة المصريين مع نسبة الأعضاء المصريين المشتركين.

(9) لها أن تجمع المال عبر الطوابع، والإيصالات، والحفلات -حفل واحد معفى من الضرائب سنويًا والباقي عليه ضريبة وسيكون الحفل جذبًا للفتيان والشباب بعيدًا عن الخِفَى وتعريفًا لهم بالجمعية وكذلك مصدرًا للتمويل- وكذلك تجمع المال عبر الأسواق الخيرية والمعارض -أدوات مدرسية أو ملابس العيد أو لحوم العيد أو كتب خارجية مستعملة وخلافه- وكل هذا يؤلف قلوب الأباء ويربطهم بالجمعية، ويزيد سماحتهم مع أولادهم للمشاركة في النشاطات؛ لأن المعروف يأسر القلوب، ولا معروف عند الآباء أحب إليهم من توفير النفقات وتيسير الاحتياجات.. وكذلك تجمع المال عن طريق الصناديق، والبنوك، والتليفون -رقم الخير حيث يتصل المتبرّع ويُبقي الخط مفتوحًا لمدة يحتسبها تبرُّعًا، ويمكن أن يكون الخط ساخنًا للاستشارات الأسرية، فيُصيب

هدفين بحجر واحد التمويل والنصيحة وقت الحاجة- وكل هذا بتصريح من الإدارة المركزية للجمعيات والاتحادات.

(10) يجوز دمج الجمعيات في ذات المحافظة، وإن اختلفت أنشطتها في (اتحا. إقليمي) أو تتحد الجمعيات متشابهة النشاط وإن اختلفت أقاليمها في (اتحاد نوعي)؛ وهذه إمكانية صعبة نوعًا -لأن الدولة تجبر الجمعيات على الانضمام إلى اتحادات تابعة لها- لكنها ممكنة وهي أمل في التوسُّع وتضخيم الكيان الثوري البنائي وقت الحاجة.

(11) يجوز لها الحصول على إعانات من صندوق تابع للدولة بصورة دورية أو للإنشاء والتأثيث أو كاستثناء.

(12) لا تحتاج لتخصيص مال معين لدى إنشائها، ولكنها تحتاج لاشتراكات الأعضاء.

(13) يتم اختيار أعضاء مجلس الإدارة الأول بالتعيين من قبل المؤسسين، ثم يتم انتخابه عبر الجمعية العمومية بعد ذلك.

[3]

عيوب الجمعيات الأهلية

(1) يقيدها في كل نشاط تصريحات من جهة مختصة فيما فيه جهة مسؤولة غير وزارة التضامن؛ بمعنى أنه لإنشاء جمعية لتحفيظ القرآن ستحتاج موافقات وزارة التضامن الاجتماعي ومعها موافقات الأزهر أو الأوقاف وهكذا.

(2) يقيد نشاطاتها مديرية التضامن الاجتماعي التي تقيد ميادين النشاط الاجتماعي عمومًا -بصورة أضيق مما في القانون- داخل نطاقها الجغرافي وفق ما يتراءى لها. فقد يُسمح في محافظة بما لا يُسمح في غيرها وهكذا. ولا يُسمح لجمعية بالعمل خارج محافظتها إلا بإخطار مديرية التضامن في المحافظة الأخرى والخضوع لسلطتها.

(3) تخضع لرقابة صارمة وخانقة في كل شؤونها من قِبل وزارة التضامن؛ سواء الوزير بنفسه أو المديرية؛ فكل أرصدتها مرصودة في بنوك محددة بموجب القانون، وكل تحركاتها في سجلات ودفاتر، وأسماء هيئتها الإدارية وأعضائها وميزانياتها مُعلَنة.

ولا يحق لها تلقي منح خارجية إلا بموافقة من الوزير، ولا تنشئ نشاطًا لجمع المال داخليا إلى بموافقته.

ويجب أن تجتاز الجمعية تفتيشات دورية مُعيَّنة، وكذلك يمكن للوزير حل الجمعية أو تصفيتها بسبب مخالفة شروط الإنشاء، وكذلك يمكنه عزل مجلس الإدارة أو وقف نشاط مخالف أو إزالته.

وإذا لم تتعرض الجمعية للتضييق والتحجيم فإنها بالتأكيد ستتعرقل نشاطاتها بسبب الروتين اللازم لاستخراج الموافقات والتصاريح وخلافه. وطبعا هذه النقطة هي سيف مسلطٌ في يد النظام وقت الحاجة إليه..

(4) يحظر علها العمل السياسي أو النقابي. وهناك نوع مخصوص من الجمعيات له فقط حقّ توعية الجماهير بالحقوق السياسية أو يُضاف هذا البند كميدان عمل؛ لكن هذه النوعية من الجمعيات تلقى التضييق ابتداءً.. وله فقط حق التوعية لا ممارسة العمل السياسي.

[4]

أقلّ ما تحتاجه لإشهار جمعية

(1) عشرة أشخاص -على الأقل- متآلفين متفاهمين متعاونين هُم "مؤسِّسُو الجمعية"..

(2) يختارون من بينهم خمسة أشخاص -على الأقل- كمجلس إدارة: رئيس، نائب رئيس، أمين صندوق، سكرتير، عضو..

(3) مقر للجمعية تمليك أو إيجار بحد أدنى للمدّة خمس سنوات، يكون به مطبخ وحمام ومكاتب وطاقم استقبال كشروط أساسية..

(4) 300 جنيه: 200 منها ثمن أوراق التقديم، و100 تبرعًا باسم الجمعية لصالح اتحاد الجمعيات الأهلية..

(5) تُملأ الأوراق الخاصة (حيث تكون العناوين الرئيسية في "ملخص بنية الجمعية" من أولاً إلى عاشرًا هي "ميادين العمل" - والعناوين الفرعية التي تحتها هي "الأنشطة" لتحتسب جمعية شاملة كافة النشاطات المذكورة في ورقة العمل) وتقدّم فيصدُر رقم الإشهار خلال مدة أقصاها ثلاثة أشهر من تاريخ التقديم..

[5]
لماذا؟

ولنستحضر في هذا العمل أننا ننفع المسلمين ونعمل على إبقاء قوّتهم وامتداد حياة أمّتنا وشمولها الناس؛ فالناس يحبون من يساعدهم ويدعمهم.

وإذا كسلنا فلنستحضر أن نفع الناس هو سعادة الدنيا. ولو لم يُرد نافع الناس سعادة الآخرة!!

فما بالنا والواجب أنّ نفع الناس عندنا غرضه الأوحد سعادة الآخرة فكما قال السعدي رحمه الله: "عنوان سعادة العبد: إخلاصه للمعبود، وسعيه في نفع الخلق"، وقد قال ابن عبّاس رضي الله عنه: "صاحب المعروف لا يقع، فإن وقع وجد مُتكًا" [عيون الأخبار، 1/ 339].

والله الموفّق ينصر من ينصره إنه لقويٌّ عزيز.

الدّولَةُ المُوَازِيَةُ.. نواةُ الخِلافَةِ
[البناءُ العُضويّ]

الحمدُ لله الذي يدُه مع الجماعةِ والصلاةُ والسلامُ على من النجاة في السمع له والطاعة؛

ثمَّ أمَّا بعد..

[1]

تمهيد

طفتُ كثيرًا في أرجاء عصور اضمحلال الخلافة الإسلامية.-وراقبتُ عن كثبٍ الدول التي قامت في ظل ذلك الاضمحلال ما علا منها وما انكسر!!

فلكأني رأيتُ عماد الدين "زنكي" وابنه نور الدين "محمود" يبنيان البيمارستانات ويرتّبان لها وللمدارس الأوقاف وينظّمان الجُند ويُنشئان القلاع والحصون وعلى إثرهما صلاح الدين "يوسف" قبل أن يوجّه جُلَّ جُهده لجهاد الصليبيين فتقوم في نهاية ذلك الدولة "الأيوبيّة" في الشام ومصر التي لم يجاوز عمرها المئة سنة لكنها انغرست في الأرض يوم خلعت دولة العُبَيديِّين..

ولكأنّي عاصرتُ "بن تومرت" وهو يدّعي المهدويّة ليُجيّش الأمازيغ ويرتّب نظامهم ويجعلهم طبقات أعاد تنظيمها "عبد المؤمن" وقرّبها من السُّنة بعد شطط سَلَفِه ليتبعهما أبو يوسف "يعقوب بن منصور" فيقيمُوا دولة الموحّدين في المغرب والأندلس لتبقى 150 سنة لم تنغرس في الأرض إلا يوم خلعت دولة المرابطين!!

[2]

النواة.. البذرة

دولٌ تقوم ودولٌ تسقُط.. لكني لم أرَ دولة قامت فجأة!! بل كل دولة جديدة كان لها نواةٌ في عصر اضمحلال سابقتها، وأنبتت النواةُ وكَبُرت وصار لها كيانٌ موازٍ للأولى وقادرٌ على منابذتها والصدام معها ثم تفكيكها والحلول محلَّها..

وقد ضربتُ أنموذجًا لفكرة الدولة الموازية -دولة الظِّل- التي تنمو في ظل الدولة الرسمية؛ فاخترتُ دولتين عاصرتا بعضهما كلاً في نطاق سيادةٍ جغرافي بمنأى عن الأخرى فواحدة في الشرق والأخرى في الغرب من منطقة "الشرق الأوسط" بمفهومنا الآن أو بالأصحّ أرض المسلمين!! فكل منهما نشأت موازية لدولةٍ سادت في عصرها فقهرتها وتصارعت معها ثم ظهرت عليها.. وهذا ما أريد قوله في ورقة العمل الصغيرة هذه أنه لا طريق للتمكين إلا ذلك!! دعوةٌ وعملٌ وتأسيسٌ بديلٍ كاملٍ قويٍ لا يشارك القديم الحكم على استحياء بل يحكم منفردًا في أقرب فرصة مُتاحة بل عليه أن يصنع هذه الفرصة المتاحة صُنعًا..

ولا ينبغي أن نستغرب فكرة (الدولة الموازية) أبدًا ونحن نراها واقعًا يُطبق على الأرض؛ سبق إليها الإخوان بل والنصارى في مصر وكأنهما فرسا رهان يتسابقان منذ ثمانين سنة!!

وتقوم فكرة (الدولة الموازية) على قيام جماعة مؤتلفة بتوفير وبناء مرافق ونُظُم يؤدي كل منها دور مرفق أو نظام من مرافق ونظم الدولة الفعلية القائمة، ولكن وفق رؤية الجماعة على حسب تمويلها وطاقات أفرادها، ويكون الهدف النهائي للدولة الموازية هو النمو والتطور حتى تساوي في تأثيرها واحتياج الناس إليها الدولة الفعلية ثم تتفوق عليها لتحكم وتحل محلها. وقد تقتصر خدمات هذه (الدولة الموازية) في البداية على منتسبيها ثم تتوسع شيئًا فشيئًا لتعم سائر المسلمين وفق سرعة نموها وتطورها.

فلا يكفي مجرد إنشاء (جماعة) بل يجب أن يكون نظام هذه الجماعة الأساسي كأقرب ما يكون لنظام الدولة؛ فيكون لها رأس وهيئة استشارية ويكون لها أذرع فاعلة لتسيير المصالح وغيرها مما يحتاج إليه الناس.

وهذا بين يديك أخي القارئ خلاصة ما وصلتُ إليه من بنية "الدولة الموازية" لم أضعه للتنفيذ -فقد نفَّذ الإخوان معظمه بالفعل- بقدر ما وضعتُه لتقريب الصورة وتفهيم الجمهور ماذا تعني كلمة "جماعة إسلامية" على حقيقتها!! فكثير منًا يطيشُ تصوُّره عن الواجبِ ويقتصر على ما يجد ولا يأمل في أكثر منه ولا يتصور غيره.. وقد أطلعتُ بعض كبار قادة العمل الإسلامي على هذا المقترح فلم يلق رواجًا عند من تقصُر نظرتُه عنه ولم يكُن له حاجةٌ عند من رأى معظمه واقعًا على الأرض فقلتُ أطرحه لإخوالي وأقراني القرّاء عرض الناصح والمبيّن طالب الكمال بالنُّصحِ والنقد الشريف.

وتتلخص فكرتي عن (الدولة الموازية) في أنها "جامعةٌ إسلامية" هي "نواة الخِلافة" تقوم على (إمامٍ واحدٍ مُبايَع ومجلِسَيْن وهيئةٍ تنفيذية)؛ أما الإمام فهو (رأس الدولة الموازية) وهو المرشد الحقيقي في حالة الإخوان مثلا، ثم يتبعه مجلس (أهل حلٍّ وعقد) وهو الأشبه بمكتب الإرشاد، ثم مجلس (فروض الكفايات) وهو مجلس استشاري تمويلي حركي موسَّع أشبه بالبرلمانات الحديثة وهذا يشمل كل الأجنحة التي يعمل فيها الشباب وتتخذ طابعًا تجاريًا أو اجتماعيًا ظاهرًا، وتأتي بعد ذلك (الأذرع التنفيذية) المسئولة عن تفعيل ما أقره الإمام والمجلسان.

[3]

مـجلس أهل الحلّ والعقد

يتكوَّن هذا المجلس من كبار أهل العلم والكِفاح -مع تلازم العِلم والكِفاح- فقط من "الرجال" الموثوقين والمعروفين بغير اشتراط جنسية محدَّدة؛ يرأسهم (الإمام)؛ فيتركَّب من الأحبار أهل التخصص في العلوم الشرعية وكذا من الربَّانيين الذين يُنشِّؤون الشباب تنشئةً فاعِلَة وكبار القادة الميدانيين للعمل الإسلامي بشتَّى أنواعه. ولا يُستبعد من هيئة المجلس إلا مَن عُرِف ببدعةٍ تُفسد عقيدته أو رأي يعوق فكرة الدولة نفسها -كأن يعتقد حُرمة العمل الجماعي وعدم لُزوم الحكم بما أنزل الله وتصحيح حاكمية الطاغوت- وكذلك يُستبعد من عُلِم التزامه ببيعةٍ عامَّةٍ أخرى، وكذلك يُستبعد من اشتهر بضغينة لا يُذيبها تلطُّف إخوانه، أو كان له مُداهنةٌ للطواغيت سابقة، أو تمّ التأكد من خراب عِفَّته أو ذمته المالية.

ويجوز أن يحضر رؤساء لجان (مجلس الكفايات) الجلسات؛ خاصة رئيسا لجنتي (التخطيط والمتابعة) و(الأمن) -وسيأتي توضيح مهامهما عند ذكر تفاصيل مجلس الكفايات- ويكون الحضور بدعوة من (الإمام) أو (المكتب الإداري) أو بطلب من رؤساء اللجان أنفسهم.

ويُفيد هذا المجلس في جمع القيادات على تباعد أماكنها في كيان واحد يتفاعل ككتلة واحدة وجسد واحد ليصل إلى قرار واحد ويأتلف على كلمة واحدة من بعد الشُّورى؛ إذ يُديره عقلٌ واحد (الإمام) قد اتفقوا جميعهم سلفًا على طاعته -بالبيعة- فيلتزمون بترجيحه وأمره قطعًا لكل أنواع الخلاف الظاهر وحفاظًا على وحدة الصف.

ولا يوجد حد عددي لأفراد هذا المجلس ولا اشتراط في السنّ ولا التخصص ولا الجنسية؛ ولكن يجمع أهله بعضهم بعضًا، وتُنشأ من داخل هذا المجلس لجنةٌ

من عشرة أفراد تُشكِّل (المكتب الإداري) المختص بتنظيم شؤون المجلس ويكون أحد العشرة هو (المتحدث الرسمي) للمجلس كله ومُعلن قراراته فلا يجوز أن يتحدث باسم المجلس غيره -ولا يحسُن أن يكون هناك أكثر من متحدِّث إلا إذا تعددت التخصصات بمعنى: هذا متحدث رسمي داخلي وذاك خارجي أو هذا للإعلام وذاك للتفاوض.. وهكذا حتى لا تتداخل التصريحات ويتشتت الناس. وأحدهم (مسئول الاتصال) الذي تتوافر عنده كل بيانات أفراد المجلس وكيفية إيجادهم في أي وقت، وآخر (أمين المجلس) الذي يحفظ ملفات الأفراد الشخصية ومحاضر الجلسات والقرارات وسائر المستندات. ويكون سائر العشرة مساعدين لهؤلاء الثلاثة.

وظائف المجلس وواجباته:

(1) تولية وعزل الإمام؛ ويُختار الإمام من بين أعضاء المجلس فقط بالانتخاب العلني المباشر -كما كان في السقيفة وبيت الشورى العُمَريّ- بعد النظر في توافر الشروط الشرعية لعمليتي التولية والعزل.

(2) أخذ البيعة للإمام كنُقباء لبَلَداتهم وفِئاتهم وتابعيهم وسائر من يمثلونهم.

(3) ترشيح أعضاء (مجلس الكفايات) -حقٌّ لأعضاء المجلس مُنفردين- وتوليتهم -عبر منظومة فحص للسير الذاتية ومُقابلات تُجريها لجنة خاصة- ثم إنشاء لجان مُنفصلة لمراقبة أعمالهم من الناحية الشرعية. على ألاَّ ينظر أحد الأعضاء في تولية من قام بترشيحه ولا يقوم بمراقبته درءًا للشبهة وتصفية للنفوس.

(4) وضع النظام الأساسي "دستور الدولة الموازية"، وكذلك صياغة "دستور دائم أصيل" يصلح لإدارة دولة فاعلة في المستقبل وذلك بالتعاون مع (مجلس الكفايات)، وفق الشرع الحنيف وحده دون نمذجة من غيره ولا محاكاة.

(5) مُداولة السياسات والقرارات الكُبرى مع الإمام كهيئة استشارية شرعيَّة مُوَسَّعة.

(6) العمل كسفراء للإسلام ودُعاة للخلافة على أرض الواقع وفي القنوات الإعلامية والمنابر الشرعية وسواء عند الدول والمؤسسات والمنظمات والكيانات الأخرى أو عند الشعوب وعامة الناس.

(7) وضع التوصيف الشرعي لكل ما يُطلب منهم سواء بأمر من طرف (الإمام) أو استرشادًا من طرف (مجلس الكفايات).

(8) توفير الدعم والتمويل الأساسيين اللازمين لبدء أنشطة الكيان، ووضع ميزانية الكيان وإقرارها ومراقبة الإنفاق، عبر تكوين لجان خاصة تشترك في ذلك مع (مجلس الكفايات).

(9) يجتمع المجلس مرّة كل شهر بكامل هيئته أو بقوة 75% منها على الأقل للعرض والمناقشة واتخاذ القرارات، وكذلك يجتمع بدعوة من (الإمام) في أي وقت يراه؛ على أن يُفصل من المجلس من يتغيب أكثر من ثلاث مرات بغير عُذر يقبله (الإمام) ولا يجوز التغيب ابتداءً إلا بعذر سابق وإلا كان للإمام ما يراه من تعزير، ويجوز أن تكون سائر الاجتماعات -خاصة اجتماعات اللجان الفرعية- بأي وسيلة مُؤمَّنة دون اللقاء المباشر كالمنتديات المُغلقة وخطوط الهاتف المؤمَّنة وغيرها مع ضمان سرية المستندات وسلامة الأفراد. وكذلك يجوز لمن قبل الإمام عذره في التخلُّف أن يشارك في الاجتماعات بنفس الوسائل المذكورة في حال اللجان الفرعية.

(10) يجوز للمجلس عزل أفراد قُدامى إذا طرأ طارئ يستدعي ذلك، وكذلك ضم أفراد جُدد وفق الحاجة تبعًا للشروط السابقة وبنظام الانتخاب وبإذن (الإمام).

[4]

مـجلس الكفايات

يتكوَّن هذا المجلس من الكفاءات المسلمة "سواء من الرجال أو النساء" في أبواب (فروض الكفايات المختلفة) من الاقتصاد والصناعة والزراعة والاتصالات والأدب واللغة والتاريخ والطب والإعلام والرياضة والأمن وكل العلوم والتخصصات المختلفة وفروعها المتعدِّدة؛ ويجرى اختيارهم بمراعاة المحذورات العامة عند اختيار أعضاء المجلس الأول.

ويكون للأقسام النسائية إدارات منفصلة وفي اختصاصات تصلح لهم يحددها المجلس الأول؛ وتكون الزوجات في الإدارات النسائية هي همزة الوصل مع أزواجهم من أعضاء نفس المجلس دون اتصال مباشر بين من ليسوا أزواجًا.

ويُشترط في هذه الكفاءات شرطان أساسيان؛ الأول شرط الخبرة أو الموهبة، والثاني شرط الدِّراسة والتخصُّص الدقيق فيما سيُناط به من مهام.

ويلزم أن يكون الأعضاء ممن تربَّوا على الإسلام وعملوا في سِلك خدمة الدين فترة وحسُن عَملُهم فيه بشهادةٍ (ترشيح مُعتمد) من عضو واحدٍ على الأقل من أعضاء المجلس الأول أو أكثر من عضو من أعضاء مجلس الكفايات نفسه. من دون اشتراط أن يكونوا طلاَّب علمٍ شرعيٍّ متميزين؛ إذ يكفيهم عملهم بالفرض من العلم الشرعي، حيث تكون وظيفتهم هي استكمال ما ليس عند مجلس أهل الحل والعقد من علوم مادِّية مع اعتمادهم على المجلس الأول في الجوانب الشرعية.

ويفيد هذا المجلس في تطبيق قاعدة بارزة وهي (الحكم على الشيء فرع على تصوُّره)؛ فبما أن (الإمام) ومستشاريه (أهل الحل والعقد) هم أصحاب إقرار الحُكم فإن (مجلس الكفايات) هو المسئول عن (التصوُّر) بحثًا وصياغةً

ونصيحةً، لذلك فإن هذا المجلس سيتركّب من لجان متخصصة عِدّة؛ منها مثلاً:

(اللجنة السياسية) وهي المسؤولة عن جمع المعلومات والوثائق والحقائق عن كل الفصائل السياسية؛ لتضع المجلس الأول أمام الحقيقة كاملة بكل جوانبها، وكذلك تضع اللجنة مقترحها حول التعامل مع الوضع السياسي الراهن؛ لتسهيل وإحكام وتسريع عملية اتخاذ القرار من قِبل المجلس الأول؛ ثم إدارة التنفيذ دون اشتراك بقية اللجان فيه؛ فلبقية اللجان سائر أعمالها.

وكذلك في الشأن الاقتصادي سيكون على (اللجنة الاقتصادية) بحث الحالة الاقتصادية للبلاد المختلفة مع وضع مقترح لتمويل (الدولة الموازية)؛ مثلاً عبر رصد مبلغ مالي -تكون مسئولية جمعه على المجلس الأول- ثم توجيهه إلى مشاريع صغيرة لتشغيل الشباب عبر شراكة كاملة برأس المال من قِبل الكيان يكون نصيبها من الأرباح 50% مقابل 50% أخرى نظير الإدارة للشاب القائم بالمشروع. ويكون ضمن أعمال اللجنة متابعة المشاريع التمويلية القائمة والقيام بأعمالها المحاسبية والرقابية. وبهذا يتم تفعيل مبدأ (التمويل الذاتي) حتى لا يتعرض الكيان للتأثير على توجهاته عبر اشتراط الممولين توجهًا معيّنًا وبذلك يكون (مجلس الكفايات) أداة فاعلة في يد (الإمام) لضمان حرية اتخاذه للقرارات وكذلك يكون ملجًا لحماية الشباب من البطالة بمشكلاتها وويلاتها.

ويكون هناك (لجنة للتعليم) تقوم على صياغة مناهج تعليمية وتثقيفيّة في شتّى العلوم تُرفق مع المناهج الشرعية التي يدرسها الشباب لترتقي بفكره وثقافته؛ ويكون من مسئولية لجنة التعليم أيضًا انتقاء بعض الشباب المتميز ودعمهم ماديًا لاستكمال دراسات متخصصة كل فيما يُحسنه من أجل ضمان استمرار (مجلس فروض الكفايات) في المستقبل ومده بدماء جديدة؛ ويكون أوضح مهامها توفير الكوادر المؤهلة خَلقيا -عبر حسن انتقاء المواهب- ودراسيًا

عبر حسن التوجيه، فتوجه مجموعة من الفتيات المتميزات لدراسة فروع الطب؛ لضمان ستر نساء المسلمين بتوفير طبيبات متخصصات في كل المجالات، وتوجه الفتيان ذوي الموهبة الأدبية لدراسة اللغة والأدب والدفع بهم لنشر الإسلام عبر المؤلفات والأشعار وغيرها، وتوجه مجموعة أخرى لدراسة العلوم الكيميائية، وغيرها للإلكترونيات، وغيرها لطرق التدريس... وهكذا.

وكذلك (لجنة الأمن) ووظيفتها وضع سياسات تأمين الاتصال وانتقال المعلومات والمستندات والأفراد والأموال بشكل آمن ومضمون. و(اللجنة الرياضية والعسكرية) ووظيفتها وضع برامج البناء البدني للأفراد وفق مجاميعهم السِّنِّيَّة وكذلك التأهيل العسكري المتدرج -وفق ما يتأتّى بحسب أوضاع البلدان المختلفة- حتى وإن بدأ بتعليم التصويب على بنادق الرش ومسدسات الخرز المخصصة لتعليم التصويب، فلا يعقل أن تواجه الرصاص الحي عند اللزوم -حالة غزو استعماري مثلاً أو تغوُّل النظام الحاكم على الناس عسكريا- بالحجارة.

ولجنة أخرى شاملة وهي أهم اللجان على الإطلاق تسمّى (لجنة التخطيط والمتابعة) ستكون مهمتها مشاركة المجلس الأول في وضع (النظام الأساسي) ومتابعة تطبيقه ومراقبة الشخصيات العامة جنبًا إلى جنب مع لجنة الأمن وتحت إشراف (الإمام) مباشرة، و(لجنة الموازنة- فرعية عن اللجنة الاقتصادية) والتي ستشترك مع المجلس الأول في وضع الموازنة العامة للكيان ومراقبة تطبيقها.

ولا يجوز للعضو تولّي رئاسة أكثر من لجنة ولا يتولى رئاسة لجنة إلا إذا توافرت فيه شروط تخصصها الدقيق (الموهبة أو الخبرة مع الدراسة)، ولكن يجوز له أن يكون عضوًا في غير واحدة من اللجان وفقًا لما يراه رؤساء اللجان من طلب

الحاجة والمشورة حسب ما تقتضيه المصلحة العامّة، على أن تكون عضويته في لجنة واحدة أساسية وعضويته في غيرها مؤقتة وفق جاجة منسوبها إليه.
والصورة المُثلى لهذه اللجان أن يكون لكل لجنة منها وجود مُعلن للناس بشخوصهم الحقيقية في هيئة مشروع متخصص، هذا غير وجودهم الحركي بأسماء كودية وشخوص مصطنعة؛ فتكون (اللجنة الاقتصادية) هي الهيئة الإدارية لشركة تمويل لمشاريع الشباب المسلم، وتكون (لجنة التعليم) هي شراكة مُعلنة في مركز دراسات تربوي متخصص أو مدرسة خاصة أو دار نشر وتوثيق، وتكون (لجنة الصناعة) هي مجلس إدارة شركة تصنيع قطع غيار أو مركز صيانة سيارات.. وهكذا من أجل تبرير التفاعلات الدائمة بين أفراد كل لجنة وكذلك توفير التمويل اللازم للكيان كجزء من مشروع (التمويل الذاتي).
وهذا النظام الذي أتحدث عنه في مجلس الكفايات تحديدًا ليس غريبا؛ بل في مصر مثلا يُطبّقه الإخوان وكذلك النصارى فعليًا.. ولو تأمّلت -أخي القارئ- لتوصلت إلى أسماء الشركات والمؤسسات التي أعنيها بيُسر وسهولة!!

<u>وظائف المجلس وواجباته:</u>

(1) صُنع الكوادر المسلمة المؤهَّلة في كل المجالات بدءً من الاقتصاد وحتى العسكرية.
(2) توفير تقارير شاملة دورية -كل لجنة في فرع تخصصها- تُقدَّم للمجلس الأول كل شهر بحيث يسبق تقديمها انعقاد المجلس بخمسة أيام للاطِّلاع.
(3) الاتصال المباشر مع (الإمام) بتوفير متطلباته المعلوماتية والاستشارية في كل فروع التخصص عند الحاجة؛ بحيث تكون كل قراراته مبنية على أسس ثابتة من الوعي، والاطلاع الشامل على الواقع من كل الزوايا.
(4) متابعة عمل (الأذرع التنفيذية) عبر كل لجان المتابعة المختلفة.

(5) ضمان تطوير الكيان وإمداده بأحدث الوسائل؛ لقيام كل فئة فيه بواجبها وفق أفضل السبل المتاحة عصريًا.

(6) تفعيل الطاقات الشابة ومنع الانفلات الحماسي الناتج عن التشرذم وعدم وجود كيان مُحكم يحزم كل هذه الطاقات في مصلحة عامة واحدة مثمرة.

(7) توفير التمويل الذاتي.

(8) أفضل واجهة يمكن عرضها على الناس عمليًا لينضموا بدورهم لركب الإسلام كمنهج حياة فاعِل؛ ولا يتم هذا إلا بحسن إعداد أفراد هذا المجلس نفسه ودفعهم للتفوق والازدهار على الصعيدين الشخصي والعام.

(9) يكون هذا المجلس في حالة انعقاد دائم ومستمر وهو في صورته المثلى سيوفر (الوظائف الدنيوية) وكذلك (الوظائف الشرعية) لأعضائه؛ ويُحدَّد لكل لجنة لقاءٌ أسبوعي تقدم فيه التقارير وتبحث فيه المقترحات ليتم صهرها كلها في لقاء موحد لرؤساء اللجان ليتبلور منه التقرير الشهري المقدم للمجلس الأول. ويكون المجلس برمته تحت مراقبة المجلس الأول وتحت سلطة (الإمام) مباشرة.

(10) تسري أحكام البند 9 و10 من واجبات المجلس الأول.

[5]

الإمــــام

هو رأس الكيان ورئيس المجلسين المنتخب منهما والمبايَع من كل المنتسبين مباشرة وبالوكالة عبر النقباء؛ ويُستمد مبدأ الانتخاب المباشر العلني مما جرى في السقيفة في اختيار أبي بكر، وبين أهل الشورى في اختيار عثمان رضي الله عنهما.

وهو من يفصل في النزاعات ويُقر القرارات ويحاسب الأفراد ويجوز أن يُنيب في آحاد هذه المهام أو في مجمل أنواعها كأن يعين قاضيًا أو جهاز حسبة.

سلطتُه عامّة واجتهاده مُلزم وأمرُه نافِذ بموجب المبدأ الشرعي للسَّمع والطاعة لمن له البيعة.

وله نائبان معلُومَان؛ نائب لكل مجلس: الأول (أمين مجلس الحل والعقد) والثاني (رئيس لجنة التخطيط والمتابعة في مجلس الكفايات) ويرأس الأول منهما الثاني. ويشترط فيه كل ما يُشترط في أعضاء (مجلس الحل والعقد)؛ لأنه منهم بالأساس، وقد فضَّلوه عليهم بتزكيته لهذا المنصب وارتضوه بذلك رأسًا لهم.

[6]

الأذرع التنفيذية

تتلخص فكرة "الأذرع التنفيذية" في تكوُّنها من كل الأفراد المبايعين للإمام من غير أفراد المجلسين حيث يتم توجيههم حسب الحاجة وواجب الوقت عن طريق أعضاء المجلسين بتكليف من لجان المجلسين المتخصصة أو بتوجيه مباشر من (الإمام) نفسه لتنفيذ القرارات والخطط المعتمدة، مع اشتراط الأمانة والوعي وحسن السيرة والجدِّية والهمة والاستعداد للفداء والقدرة على الكتمان في الفرد التنفيذي من الرجال والنساء. ويشترك أعضاء المجلسين في التنفيذ كل بقدره وحاجته كما كان السلف أيديهم بأيدي العامة ويسبقونهم للعمل.

[7]

ما الحاجة لهذا المقترح بعد حُكم الإخوان لمصر ودول أخرى سبقت وأخرى ستأتي؟

لأن المقترح أوسعُ من مِصر وواجب الاجتماع لا تحدّه حدود "سايكس-بيكو".. ولأن حُكم الإخوان المنفرد أو المشترك مع غيرهم لا يدُوم تمامًا كسائر الجماعات البشرية ولا أدلّ على ذلك من حُكم الإعدام الذي حازه "طارق الهاشمي" الشريك الإخواني في حُكم عراق ما بعد صدّام، والذي أدّى لنفيه وانفراد الشيعة ببلاد الرافدين.

[8]

لماذا لا تكون الفيدرالية هي الحل؟

لأن الفيدرالية إذا قامت بين دول الربيع العربي الحاليةِ والآتية مثلاً ستقوم على أساس ديموقراطي بقناع إسلامي؛ وهذا سيُنتج نوعًا من الخلافة نعم. لكن إذا سلَّمنا لمن يقول بجواز هذه الـ"مكرونة بالبشاميل" وإذا سلَّمنا أن هذا سيؤدِّي لإنشاء إمبراطورية حديثة فلنرجع إلى الهدف الأصلي!! أهو إنشاء إمبراطورية أم مجرد خلافة تجمع المسلمين أم خلافة على منهاج النبوّة!! وإذا كان التسليم بجواز مكرونة الديموقراطية الباشاميل أراه نوع غفلةٍ غير مبرّرة وليست في صقِّنا الصناعي [شفيق إيموشن]!! فإنه من الإجرام أن نسمّي ما سينتج عن اتحاد دول بعضها له اتفاقات دفاع مشترك مع إسرائيل والأخرى تدرب الشرطة الأفغانية التي يديرها الاحتلال الأمريكي ومعظمها له قوات عاملة لحظة كتابة هذه السطور في حلف الناتو تقتل المسلمين في أفغانستان وليبيا ومالي!! من الإجرام أن نسمّي هذا أنه على منهاج النبوة!!

[9]

كثيرون حين تخاطبهم ببطلان الديموقراطية منهجا ووسيلة يقولون لك: "وما البديل؟"!! ورغم أن الواحد منا -عند النصيحة- غير مكلف بتقديم البديل بل بتبليغ الحق وإيضاحه إلا أنني أقول: ليس الإسلام بديلاً عن أي نظام جاهلي!! بل في الإسلام الحل "الأصيل" الذي ارتضاه الله لعباده ولم يرتضِ لهم غيره -والأصيل هنا تعني المبتكر غير ذي الشبيه- وهذا الفصل كتبته كنبذة عن تصوري للنموذج الأصيل للدولة الإسلامية وكيفية إقامته في عصرنا دون الاستمداد من المناهج الباطلة أو محاكاتها أو الانغماس فيها.. هذا الفصل هو نواة لبيان المشروع الإسلامي الأصيل لا البديل.. وأسأل الله أن يعينني على مزيد بيان له وتوضيح وعمل في إقامته إنه ولي المؤمنين..

قد يبدو هذا الهيكل صعب التنفيذ.. لكن من قال إن المجد سهل أو إن العزّ يُشترى بالكسل!! هذه رؤيتي أسألُ اللهَ تعالى أن أكون مُوفَّقًا فيها.. ربما كانت الأفكار التي فيها مستهلكة أو مطروقة لكن جمعها ودمجها في فصلٍ واحد يدعو لغاية واحدة أحسبُه جديدًا.. وما كان من خطأ فمني ومن شيطاني وما كان من صواب فمن الله الكريم الجواد الرحيم.

رؤية..

[الاستراتيجيّة]

ربما حكم الإخوانُ بلادًا إسلامية كثيرة في السنين القادمة.. مع اختلاف النظام والسيطرة في كل بلد..

وربما قام بين هذه البُلدان اتّحادٌ فيدراليٌّ أشبه بالامبراطوريات الحديثة أو بالاتحاد الأوروبي ومؤسّساته..

لستُ أرى الإخوان سيقيمون خلافةً على منهاج النبوّة..

ولكنني أرى ما سيجري تمهيدًا تاريخيًا طبيعيًا لها.. فقبل شروق الشمس ينبلجُ الفجرُ كاذبًا فصادقًا!!

فربما -إن أطال اللهُ أعمارنا رأيناها- لأن الزمان اختُصِر فصار ما يجري في قرنٍ يجري في عِقْدٍ وعِقْدَيْن.. وربما أتت بشرياتُها بعد قرن!!

مقام إبراهيم
[الدأب]

كنتُ واثقًا دومًا أن العمل (الدؤوب القليل المستمِر) أوقع أثرًا وأجدى نفعًا من (العمل المُركّز المنقطِع)..

وكنتُ أجدُ في القرآن والسُنّة الكثير والكثير مما يدل على ذلك..

ولكن كان ينقصني شيءٌ: (أن أراه بعيني)؛ كي يطمئنَّ قلبي!!

ومكثتُ طويلاً أفتِّشُ في ذاكرتي..

لعلِّي أكون قد رأيت هذا (الدليل) قديمًا وأنا لا أدري..

لابد.. من.. ذلك!!

فإن سُنَنَ الله تَتْرى؛ عَلِمَها من عَلِمَها، وجَهِلَها من جَهِلَها؟؟!!

***

حتى ذكرتُ فجأة ذلك المشهد.. (مقام إبراهيم)!!

إنه مشهدٌ خلَّد الله تعالى فيه عملاً من أشرف الأعمال التي جرَت على وجهِ الأرضِ.. (بناء الكعبة).. ذلك المشهد الآسر: مشهدُ مقامِ إبراهيم..

***

كيف تحفر أقدام (اللحم الضعيف) أثرها الباقي في (الصخر القاسي)؟؟!!

إنها متلازمةُ (المُداومة) و (التكرار) و(الصبر بلا كلل) و(انتفاء الملل)..

بهذا كله -مع إيمانه الكامل- حفر إبراهيمُ عليه السلام (أثر قدميه) في (الصخر الصلد)..

فقد كان يحمل في كل مرة حجرًا واحدًا ويصعد على (مَقَامِهِ) فيثبِّته في مكانه بإحكام..

أو يبقى راسخًا على (مَقَامِهِ) ويناوله ولدُه إسماعيل الحجر، عليهما وعلى ولدهما محمد خاتم الرسل الصلاة والسلام..

بهذا (العمل الدؤوب الصبور) خلَّد الله آثارهما أبد الأرض..

***

إن الله قادرٌ على أن يُنزِّل من السماء كعبةً أحجارها الذهب والفضة والياقوت.

وقادرٌ على أن يبعث الملائكة فتبنيها في غمضة عين كما لم يُبن على ظهر الأرض بُنية..

فلِمَ تَعبَّد ربُّنا عزَّ وجلَّ هذين النبيَّيْنِ الكريمين بذلك؛ وجعل عليهما فيه (الدَّأبَ) و(الصَّبرَ)..

إنها سُنَّته عزَّ وجلَّ في (البناء والتشييد) يعلمنا إياها في ذلك الدرس العظيم..

فَهَلُمَّ إخوتي على درب الأنبياء ولا يَغُرَّنَّكم انتهاز المُؤَقَّت عند (استعجال الفرج)..

ولا يهزمنكم (ضيق الصدور) عند طول الأمد ..

والسلامُ على من كان (الحَرْثَ) نعته، و(الدَّأب) عنوانه..

واتَّزَنَتِ الأرضُ من جَديد
[النتيجة]

«يرحمُكَ اللهُ يا جَدِّي.. لَكَم عَمِلتَ لِيَوْمِ العِزِّ هذا!!»

هكذا تمتمَ «همّامُ» وهو يَنْتَظِمُ في طابورِ الرّجالِ كَثيفي اللِّحَى حازِمي الملامِح؛ ومَضَى الطَّابُورُ ينقُصُ.. ينقُصُ؛ فاشرأبَّ بعُنُقِه يرمُقُ ذلك «الوقورَ المهيبَ» الذي يُصافِحُه الرِّجالُ واحدًا واحدًا في سكينةٍ وافْتِخار..

«وَيحَهُم إنَّ بعضهُم يَبْكي؟؟!!»

«آآآآآهٍ.. لَكَمْ فَنِيَتْ أجيالٌ وتَفانَت!! ولَكَم مرَّتْ عُقودٌ وسُنُونٌ!!»

دوَّت الخَطَراتُ في عقلِه سِرَاعًا.. فلَم يَرُعْهُ إلاَّ تِلْكُمُ «العينان النَّافِذتان» تبْتَسِمانِ لَه!!

عَينَا «الوقورِ المهيبِ»..

فلَم يلبَثْ «همّامُ» أن مدَّ يُمناهُ وشدَّ قامَتَهُ فقَال:

«السلامُ عليكَ يا خَليفةَ المُسلِمين»..

واتَّزَنَتِ الأرضُ من جَديد..

[سيحدثُ هذا المشهدُ يومًا ما؛ من غيرِ شكٍّ.. ولابُدّ]

واللهُ الموفِّق ينصر من ينصره إنه لقويٌّ عزيز.

المحتويات

الباب الثالث: مُشكلات جماهير الحركيّين

الباب الرابع: مُشكلات عوام المسلمين

الباب الخامس: النتيجة: تسلُّط الطُّغاة

الباب السادس: تمهيدٌ للحَلّ

الباب السابع: حُلولٌ عمليةٌ

للتواصل مع المؤلف:

http://www.facebook.com/mahdy.islam

mahdy.islam@hotmail.com

Printed By SPH 01001009678

«عسل الخشخاش»..
جاهليةٌ بنكهة الإسلام

لقد تعلّمَ الغربُ الدرسَ جيداً..

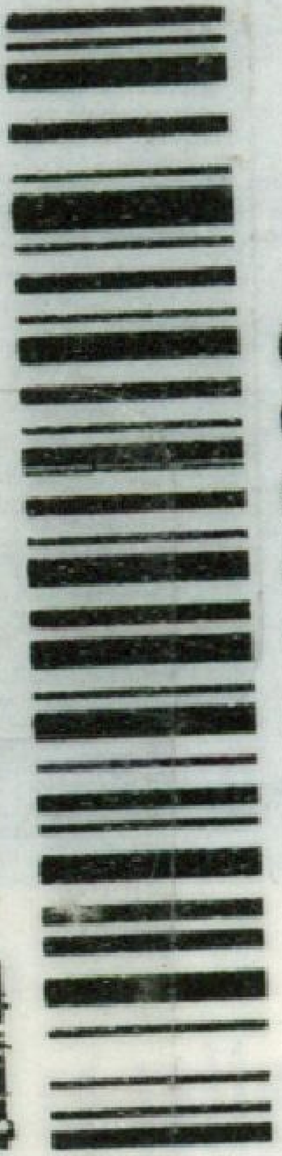
فلم يعُد يواجه الإسلامَ بالقمع وحده، لكن وفّر على نفسه تكاليف الحرب من دماء وأموال وصار يلجأ كثيرًا لـ«إدارة المعارضة الإسلاميّة»، بحيث يحقق من وراء تلك «الإدارة» أكبرَ منفعةٍ، ويتوقى أشدَّ ضرر.

فطواغيتُ العَرَبِ والعَجَم ينظرون لبلاد الإسلام على أنها حقلٌ خَصبٌ يزرعون فيه (الخشخاش)؛ ليبيعوا إنتاجه صَافيًا عاليَ الجودة لأسيادهم في الغرب والشرق..

وما خشخاشهم ذلك إلا «الجاهلية» التي يزرعون بذورها بأيديهم، ويحمونها بكل قواهم، ويحرسونها بأعوانهم، حتى تُزهِر وتثمر ويرعى فيها الناسُ كالنحل يلقّحونها، ويجنون رحيقها فيُنتجون «عسل الخشخاش»!!

نعم!!

إن ما تروّجه الحركةُ الإسلامية الآن ليس الإسلام الصافي!! بل عسل الإسلام مخلوطًا بخشخاش الجاهلية!!





L.E25.00